

جامعة الأزهر
كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
المجلة العلمية

دور المرأة في خدمة المجتمع الإسلامي
(دراسة تاريخية تحليلية مقارنة
من العصر الجاهلي حتى العصر الراشدي)

إعداد

د/ خديجة سعيد نصيب الغامدي

أستاذ مساعد بقسم التاريخ والآثار - كلية العلوم الاجتماعية - جامعة
جدة - المملكة العربية السعودية

(العدد الخامس والثلاثون)

(الإصدار الثاني .. أكتوبر)

(١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م)

علمية - محكمة - نصف سنوية

الترقيم الدولي: ISSN 2535-177X

دور المرأة في خدمة المجتمع الإسلامي (دراسة تاريخية تحليلية مقارنة من العصر الجاهلي حتى العصر الراشدي)

خديجة سعيد نصيب الغامدي

قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة جدة، المملكة العربية
السعودية.

البريد الإلكتروني: kalghamdi@uj.edu.sa

الملخص:

تناول موضوع الدراسة دور المرأة في خدمة المجتمع من العصر الجاهلي حتى العصر الراشدي دراسة تحليلية مقارنة تبين من خلالها المهن التي مارستها المرأة في العصر الجاهلي وكان لها أثر على المجتمع، ركز هذا الفصل على دورهن السياسي كحاكمات لمناطقهن ومن أشهرهن، بلقيس ملكة سبأ والزباء وزرقاء اليمامة كما أوضح أن هناك نساء عملن كمستشارات في بلاطهن كما برز أيضاً دور المرأة الاجتماعي من خلال ممارستها لمهن كالقابلات والمرضعات والجواري. أيضاً برز دورهن في مجال التعليم والطب ومنهن طريفه بنت الحبر الحميرية والتي كانت كاهنة وعملت في السحر والشعوذة وغيرها، وانفرد هذا العصر بكثرة النساء اللاتي برزن في قول الشعر والحكمة التي سرت على أفواههن وأصبحت تقال في مثل هذا الموطن، ثم تناولت الدراسة في الفصل الثاني دور المرأة في خدمة المجتمع في ظل الإسلام وأهم المهن التي مارستها المرأة، وأبرزت الدراسة دورها في تربية أبنائها ثم الدور الذي تميزت فيه في العصر الإسلامي عما سبق وهو دورها في نصر الدين ونشر الإسلام وتعاليمه فظهرن العالمات في مجال الحديث والفقه والقرآن وكان هناك نماذج متعددة للكثير من النساء في العصر النبوي والراشدي بالإضافة إلى دورهن في خدمة المجتمع في كثير من المهن التي مارسنها في المجال الاجتماعي كالقابلات والمغسلات والماشطات والمرضعات والخافضات والخدمات وقد برز عدد كبير منهن أيضاً في هذه المهن، وقد أوضحت الدراسة المهن التي اندثرت والمهن التي استمرت والعوامل التي أسهمت في إبرازها أو اندثارها.

الكلمات المفتاحية: دور المرأة، المجتمع الإسلامي، العصر الجاهلي، العصر الراشدي، دراسة تاريخية.

The role of women in serving the Islamic community (a comparative historical and analytical study from the pre-Islamic era until the Rashidi era)

Khadija Saeed Nassib Al-Ghamdi

Department of History and Archeology, College of Social Sciences, University of Jeddah, Saudi Arabia.

Email: kalghamdi@uj.edu.sa

Abstract:

The study is concerned with the role of woman in community service from the pre-Islam era up thru the Rashedi era – an analytical comparative study thru which woman had held several professions in the pre-Islam era and had had its impact on the society. Chapter I has focused on their political role as governors of provinces. Among the most renowned of them were Belquis, Queen of Sabaa', Al-Zabaa' and Zarqa Al-Yamama. It has also shed light on women who served as counselors at the court. The study highlighted the social role of woman thru professions of midwives, breast-feeders and bondswomen. Role of woman had been also touched in the disciplines of education and medicine, such as Tarifa Bent Al-Hebr of Himyarite, who had served as a priest and acted further as a swindler and magician. The era was featured with several numbers of women who had been outstanding in uttering proverbs. Chapter II is concerned with the role of woman in community service in the shadow of Islam; together with the most significant professions held by women at a time. The study further shed light on woman's role in raising up her children. Compared to pre-Islam era, woman, during Islam, were characterized with her role in defending religion and dissemination of Islam and the religious teachings. Therefore, female scholars in the disciplines of Hadith, Fiqh (jurisprudence) and Quran had emerged. There had been several models of women in Prophet's and Rashedi' eras – not to mention their role in community service thru a lot of professions held and exercised in the social arena such as midwives, dead-washers, hair-stylists, breast-feeders, and housemaids. A large number of them had excelled at these professions. The study cast light also on the professions, which effaced and those survived, together with the factors that had contributed to efficacy or survival thereof.

Keywords: The role of women, Islamic society, The pre-Islamic era, The Rashidi era, Ahistorical study.

المقدمة:

عند استقراء كتب المؤرخين التي أرخت لتاريخ المرأة في العصر الجاهلي يتبين أن أهم المهن التي قامت بها المرأة وأجلها وأشرفها هو دورها في بيت زوجها حيث تقوم بتربية ورعاية أبنائها والعناية بزوجها وشؤون منزلها. فقد أعدت المرأة منذ نشأتها على القيام بذلك ويتبين هذا من وصايا النساء لبناتهن ليلة زفافهن حيث تقول احداهن " أي بنية إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفه وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة ليكون لك عبداً. واحفظي له خصلاً عسراً يكن لك ذخراً فالأولى والثانية فالرضا والقناعة، وحسن السمع له والطاعة. وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا شميم أنفه منك إلا أطيب الريح، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فإن شدة الجوع ملهبه وتتغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالإحراز لماله والإرعاء على حشمه وعياله، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمراً ولا تقشي له سرّاً فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفتيت سره لم تأمني غدره وإياك ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً والكأبة لديه إذا كان فرحاً" (١)

ثم ترد بعد ذلك إشارات ضعيفة للمهن التي مارستها المرأة في العصر الجاهلي كالعمل السياسي فظهرت كحاكمة لبعض القبائل كالزباء زرقاء اليمامة، وبلقيس، أيضاً من المهن المتعلقة بالعمل السياسة مهنة المستشارات أو البطانات للحاكمة.

ونجد أيضاً إشارات لمهن مارستها المرأة كالتجارة وإن كانت لا تقوم بها بل كانت مهنة لرجال وهي المالكة لهذه التجارة كما حدث للسيدة خديجة بن خويلد رضي الله عنها. أيضاً كانت هناك إشارات لمهن تعليمية وكانت مرتبطة

(١) الأبشيهي، بهاء الدين حمد بن أحمد، ٨٥٠هـ، المستطرف في كل فن مستظرف، ط١، (بيروت، دار الفكر العربي) ١٩٩٧م، ج٢، ص ٢٣٩.

بالكهانة والقيافة والزجر. فظهرت إشارات متعددة أن المرأة العربية غلب عليها الفصاحة والبيان لذلك كثير من يقول الشعر حتى غدت مضرِباً في مواقف مشابهة. كذلك هناك إشارات لنساء مارسن مداوة الجرحى أما المهن الاجتماعية والمرتبطة بالمجتمع فقد ظهرت الممرضات والقابلات والمزينات والقيينات والوصيفات، وغيرها من المهنة وعندما ظهر الإسلام نجد أن دور المرأة في خدمة المجتمع أصبح أكثر بروزاً وظهوراً عنه في المجتمع الجاهلي ويرجع ذلك إلى نظرة الإسلام للمرأة وأنه أعطى المرأة كافة حقوقها ولم يأتي مجتمعاً أعطى المرأة حقوقها مثل ما أعطى الإسلام. فهذا عمر بن الخطاب يقول كنا في الجاهلية لا نعد النساء شيئاً فلما جاء الإسلام ذكرهن الله رأينا لهن بذلك علينا حقاً^(١)، وهذا دليل على ازدياد أهمية الدور المناط بها في الإسلام بإعداد جيل محباً لدينه ومجتمعه ومن أجل المهن التي مارسها في الإسلام مهنة التعليم والتي أوردت كتب التاريخ نماذج متعددة لنساء كانت دورهن منبراً لنشر العلم أيضاً من إستقراءنا بطون كتب التاريخ هناك مهن أغفلن الكثير عن ذكرها والإشادة بها ودورها في خدمة المجتمع باختلاف مسمياتها مما أسهم في ترابط وتكامل وتلاحم المجتمع. كالممرضات والمغسلات والخادمت والقابلات والخاطبات وهن نماذجاً مشرفة موجودة في أمهات الكتب ولم تعطى حقها نشرًا وإبرازاً وهناك أدوراً أخرى أسهمت المرأة من خلالها بخدمة المجتمع كالأعمال التطوعية التي تعقد حال الظروف التي يقع فيها المجتمع فكن خير معين في الإعانة أيضاً هناك مهن اندثرت بظهور الإسلام وهناك مهن استمرت في الإسلام، ويرجع ذلك للمتغيرات التي طرأت على المجتمع الإسلامي بظهور الإسلام وهناك مهن أسهم بانقراضها ومن خلال ذلك يتبين الدور الجليل الذي قدمته المرأة للمجتمع بكل شرائعه وطوائفه.

(١) البخاري، الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل، ٢٥٦هـ، صحيح البخاري، ط١، (القاهرة، دار الأفق) ٢٠٠٤م، ج٣، ص١٣٣٠.

ولذلك تم اختيار هذا الموضوع لأهميته في إبراز أهم المهن التي قامت بها المرأة في تلك العصور.

أهمية البحث:

تسليط الضوء على عمل المرأة وتقنيده كثير من الشبهات التي دارت حول عمل المرأة وبعض المهن التي مارستها ومعرفة أثر الإسلام ومفهومه على عمل المرأة.

أهداف البحث:

- (١) أن يتبين أهم المهن التي مارستها المرأة في العصر الجاهلي.
- (٢) أن يتضح أثر الإسلام على عمل المرأة.
- (٣) أن يتضح الدور الجليل الذي قدمته المرأة لخدمة المجتمع.

إشكالية البحث:

يتناول البحث المهن التي مارستها المرأة في صدر الإسلام وأن هناك مهن استجدت نتيجة لأثر الإسلام في قيامها مثل: المعلمات والذين أسهموا في نشر العلوم الإسلامية كما تبرز أساس إشكالية البحث، هل تغيرت المهن؟ وهل استجدت مهن نتيجة لظهور الإسلام؟ وأي المهن كانت أكثر بروزاً في العصر الجاهلي وفي العصر النبوي والراشدي؟ ومدى خدمة المرأة في مجالات الأعمال التي قامت بها؟

فرضيات البحث:

- هل ظهر للمرأة جهود مبدولة في المجتمع عملت على خدمته؟
هل للناحية الاقتصادية أثر في إيجاد مهن للمرأة؟

مصطلحات البحث وأدواته:

يقوم المنهج على جمع المادة العلمية من خلال المصادر والمراجع والمجلات العلمية المحكمة والمقالات المنشورة ودراساتها وتحليلها.

مسار الدراسة

المقدمة:

التمهيد: المرأة والعمل في الإسلام

الفصل الأول : المهن التي مارستها المرأة في العصر الجاهلي لخدمة المجتمع

المقدمة

المبحث الأول: المهن الإدارية والتعليمية.

المبحث الثاني: المهن الاجتماعية والخيرية.

الفصل الثاني: المهن التي مارستها المرأة في عصر الرسول صلى الله عليه

وسلم حتى العصر الراشدي.

المبحث الأول: المهن التطوعية.

المبحث الثاني: المهن التعليمية والإدارية والاجتماعية.

التمهيد:

المرأة والعمل في الإسلام:

أسهمت المرأة بدور فعال في العمل بعد أن حظيت بموفر عالي من التعليم فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على تعليم المرأة حتى الإماء منهم فقال " ثلاثة لهم أجران رجل من أهل الكتاب آمن بدينه وآمن بمحمد صلى الله عليه وسلم والعبد المملوك إذا أدى حق الله تعالى وحق مواليه ورجل كانت عنده أمة^(١) فأدبها وأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها أجران^(٢) كما خصص لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً يحدثهن ويعلمهن، وذلك أن النساء قلن لرسول الله صلى الله عليه وسلم غلبنا عليكم الرجال فجعل لنا يوماً من نفسك فوعدهن يوماً لقيهن فوعظهن فكان مما قال لهن ما منكن امرأة تقدم ثلاثة من ولدها إلا كان لها حجاباً من النار فقال امرأة واثنين فقال واثنين^(٣)

فأضحى عصر النبوة مزدهراً بدور فعال للمرأة في نشر تعاليم الإسلام وكن أزواجه مثلاً يحتذى به فكانت عائشة أعلم الأمة وكان لا يشك على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً إلا أتوا عائشة يسألونها^(٤) وكانت عائشة مؤدبة ومعلمة لعدد من النساء وقيل أعلم الناس^(٥) فمن تلميذاتها عمره بنت عبد الرحمن العالمة لم يكن أحد أعلم بحديث عائشة منها، وكان عمر بن عبد العزيز يسألها ويقول خشيت ذهاب العلم ودروس أهله^(٦) أيضاً ممن كان

(١) الأمة، المملوكة خلاف الحرة - ابن منظور، لسان العرب، ج ١ ص ١٤٥.

(٢) موسوعة الحديث الشريف لكتب السنة، صحيح البخاري الرياض، دار السلام ١٤١٦ هـ ص ١١ باب هل يجعل للنساء يوماً على حده في العلم.

(٣) موسوعة الحديث، صحيح البخاري الرياض، دار السلام ١٤١٦ هـ ص ١١ باب العلم.

(٤) العسقلاني: الحافظ أحمد بن علي بن حجر ٨٥٢ هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، ط ١ (بيروت، دار الكتب العلمية) ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م، ج ٨ ص ٢٣٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٧٠ - ٤٧٢.

(٦) ابن عبد الرحمن خالد بن حسين بن حسين، جامع أخبار النساء من سير أعلام النبلاء، ط ١، (الرياض، مكتب الرشد) ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م، ص ٤٠٣؛ ابن حجر أبي الفضل أحمد بن علي

لعلمهن أثر أم الحسن البصري خيره كانت تقص على النساء^(١)، وممن برزن من النساء في الشعر الخنساء تماضر بنت عمرو، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه شعرها.^(٢)

وقد ظهر في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وما بعده العديد من النساء اللاتي برزن في مجالات متعددة من المهن فكان منهن الطبيبات اللاتي يداوين الجرحى كرفيدة الأسلمية^(٣) وأم أيمن بركة الحبشية وغيرهن^(٤).

كما أن هناك مهن عملت بها المرأة وكان لها دور في خدمة المجتمع كالقابلات والمغسلات والحافظات والماشطات والخادמות والبائعات والدالات^(٥) وأثبت بذلك إن لا غنى للمجتمع عن مشاركة المرأة في بناءه وفق ضوابط الإسلام كما حبيب الإسلام للمرأة العمل وأثبت أن أجرها وأجر الرجل واحد. قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ۗ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٦) وجاء في تفسيرها إن هذا وعد من الله تعالى لمن عمل صالحاً وهو العمل المتابع لكتاب وسنة نبيه صلى الله

العسقلاني ٧٧٣-٨٥٢هـ، تهذيب التهذيب، ط١ (بيروت / مؤسسة الرسالة) ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م، ج٤، ص ٦٨٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص ٤٧١؛ الفسوي أبي يوسف يعقوب بن سفيان ٢٧٧هـ، المعرفة والتاريخ، ط١، (المدينة: مكتبة الدار) ١٤١٠هـ، ج١، ص ٦٤٤.

(١) الكتاني، عبد الرحمن محمد الحسن الإدرسي، نظام الحكومة النبوية المسمى التراتيب الإدارية (بيروت: دار الكتاب العربي، ط. د.ت، ج٢، ص ٣٢٨؛ ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص ٤٦٩.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص ١١٠.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص ٢٩٧؛ ابن الأثير، الغيبة، ج٨، ص ١٤١٦.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج٨، ص ٣٦٣.

(٥) الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج٢، ص ١٠٧-١٢٦؛ الطهطاوي، رفاة رافع، الدولة الإسلامية نظامها وعمالها فتمم لكتاب متمم الإيجاز في سيرة ساكن الحجاز، (القاهرة، مكتبة الآداب، ١٤١٠هـ)، ص ٣٠١-٣٢٣.

(٦) سورة النحل آية ٩٧.

عليه وسلم من بني آدم وقلبه مؤمن بالله ورسوله وإن هذا العمل المأمور به مشروع عند الله، بأن يحييه الله حياة طيبة في الدنيا وأن يجزي بأحسن عمل في الدار الآخرة^(١).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مبيناً فضل العمل " كل عمل ابن آدم يضاعف له الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله سبحانه إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به " ^(٢)

وسئلت عائشة وأم سلمة أي العمل كان أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قالتا ما ديم عليه وإن قل. ^(٣)

الفصل الأول: المرأة في العصر الجاهلي وخدمة المجتمع:

من أجل الأعمال التي قامت بها المرأة في العصر الجاهلي هي تربية الأبناء ورعايتهم ويظهر هذا الدور جلياً وواضحاً في موقف هاجر عليها السلام أم اسماعيل التي أشفقت على ابنها من الموت عندما نفذ الزاد والماء وأخذت تجوب الصفا والمروة بحثاً عن الماء حتى انبثق ماء زمزم فسقت وشربت ودر لبنها فكانت الشفقة والحرمة على ابنها إيذاناً من الله بإنبثاق عهداً وفجراً جديداً بداخل مكة^(٤). وقد امتدح الرسول صلى الله عليه وسلم نساء قريش في تلك التربية والرعاية فيقول (إن خير نساء ركنن الإبل نساء قريش أحناه على ولده في صغره وأرعاه على بعل في ذات يده) ^(٥)

(١) ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل الدمشقي، ٧٠١-٧٤٧هـ، تفسير ابن كثير، ط١، (بيروت: دار الكاتب العربي) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ص ١٠٦٥ تفسير سورة النحل آية ٩٧؛ أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ط٨، (القاهرة، مكتبة وهبه) ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، ص ٢٧٢-٢٧٣.

(٢) موسوعة الحديث، ابن ماجه، ص ٢٧٠٤، باب فضل العمل.

(٣) موسوعة الحديث، الترمذي، ص ١٢٩٨.

(٤) الأزرقى أبو الوليد، تاريخ مكة، ت هشام عبد العزيز بن عطا وآخرون، ط١، (مكة: المكتبة التجارية) ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م، ص ٤١٢-٤١٢.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٧، ص ٣٢٢؛ ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٥، ص ٣٠١..

وقد أعدت المرأة منذ صغرها على إتقان ذلك ولا أدل على ذلك من وصية امرأة لابنتها ليلة زفافها قالت:

" أي بنية إنك مفارقة بيتك الذي منه خرجت وعشك الذي منه درجت إلى رجل لم تعرفيه وقرين لم تألفيه، فكوني له أمة ليكون لك عبداً. واحفظي له خصالاً عشراً يكن لك ذخراً فالأولى والثانية فالرضا والقناعة، وحسن السمع له والطاعة. وأما الثالثة والرابعة فالتفقد لمواقع عينه وأنفه فلا تقع عينه منك على قبيح ولا شميم أنفه منك إلا أطيب الريح، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه ومنامه فإن شدة الجوع ملهيه وتتغيص النوم مغضبه، وأما السابعة والثامنة فالإحراز لماله والإرعاء على حشمه وعياله، وأما التاسعة والعاشرة فلا تعصي له أمراً ولا تقشي له سراً فإنك إن خالفت أمره أوغرت صدره وإن أفشيت سره لم تأمني غدره وإياك ثم إياك والفرح بين يديه إذا كان مهتماً والكأبة لديه إذا كان فرحاً " (١)

كما أن من الأعمال التي قامت بها المرأة في الجاهلية الغزل فقد مارسن جميع النساء هذه المهنة وقال فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل الأبرار من الرجال الخياطة وعمل الأبرار من النساء الغزل (٢)، وهي مهنة غلب عليها النساء فكانت تغزل المرأة القطن والكتان مستخدمة آلة المغزل وكانت بعض القبائل تقوم ما تعطي للقوم بربع المغزل أي ربع ما تغزل نساءكم (٣). وكان هدفها من ذلك صنع البستهن وأردية أبنائهن وأزواجهن ومنهن من تبيع ما تقوم بعمله بهدف مساعدة الزوج في أعباء الحياة (٤) وكانت من أعمالهن العمل

(١) الأبيشي، المستطرف، ج٢، ص٢٣٩.

(٢) الأبيشي، المستطرف، ج٢، ص٤٠، المباركفوري، الرحيق المختوم، ص٥٠.

(٣) ابن منظور، لسان العرب، ج١، ص٤٥-٤٦.

(٤) ابن حجر، التهذيب، ج٤، ص٦٤٠-٦٤١؛ ابن الأثير، الغابة، ص٨٥٨٤؛ ابن حجر،

الإصابة، ص٣٢١.

بالمزارع وحصد المحاصيل فكانت المرأة تمشي من بيتها وعلى رأسها المكنل فلا تصل إلى بيت جاريتها إلا وقد ملئته من الفاكهة^(١).

ومن المهن التي مارستها المرأة وكان لها أثر في العصر الجاهلي ومرتبطة بحياتهن الاجتماعية. مهنة القابلات وهي التي تنفس النساء فقد كانت زوجة أمريء القيس تنفس النساء^(٢)، ومن المهن الاجتماعية، المزيينات وهي المرتبطة بتزيين المرأة، وتهيتها وقد برز ذكرهن في قصة بلقيس ملكة سبأ وأنه كان لديها مزيينات يقمن بتزيينها^(٣). ومنهن أيضاً أمنة بنت عفان بن أبي العاص أخت أمير المؤمنين عثمان بن عفان ذكر أنها كانت في الجاهلية ماشطة^(٤).

أيضاً من أعمالهن صنع أدوات الزينة فقليل أن بلقيس ملكة سبأ هي أول من عملت الخوصيات^(٥). باليمن وجعلت نصاب المديه ذهباً والرأس النصاب ياقوته زرقاء تدخل من مفرق الرأس وتثبت الزينة على الرأس^(٦).

ومن المهن المختصة بالنساء المرضعات وكانت عادة عند العرب أن يلتمسون المرضع لأبنائهم ويرجع ذلك إما لمرض الأم وعدم قدرتها على الإرضاع أو لوفاتها، وكان عادة الإرضاع من المهن المدرة للأرباح لأن المرضعة كانت لا تأخذ أحد ترضعه إلا من تدرك بأن أسرته وافرة الغناء قادرة على أن تحصل منهم على مردود مادي أو عيني كما حدث للنبي صلى الله عليه وسلم وكانت من ضمن المرضعات له ثويبة مولاة أبي لهب والتي أرضعت

(١) الأندلسي، ابن سعيد ٦١٠هـ - ٦٨٥م، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ت: نصرت

عبد الرحمن، (الأردن: مكتبة الأقصى) ج ١، ص ١٦١.

(٢) الأندلسي، نشوة الطرب، ج ١، ص ١٦١.

(٣) ابن منبه، وهب، التيجان في ملوك حمير، ج ١ (صنعاء، مركز الدراسات والأبحاث البحثية)

١٤٣٧هـ ص ١٥٧ - ١٥٨.

(٤) ابن حجر، الإصابات، ج ٨، ص ٤ - ٥.

(٥) الخوصة نبات العيف وتوضع منسوجة باثبات على الأدوات مثل الحاجبة التي تكون من الفضة منحوصة بالذهب مثل خوص النحل، ابن منظور، لسان العرب، ج ٥ ص ١٧٨ مادة خوص.

(٦) ابن منبه، التيجان، ص ١٥٨.

من قبله حمزة بن عبد المطلب وأبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي^(١). وكان الإرضاع ذي فوائد جمة على المرضع إذ أنه يكتسب الفصاحة والبيان من قوة البدن ولا أدل على ذلك من قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما يشير إلى رضاعته فقال، أنا من قريش وأرضعت في بني سعد^(٢). ومن المهن أيضاً التي قامت بها المرأة في العصر الجاهلي الخافضات، وهي الخاتمة ونقصد بها قطع موضع الختن من الذكر والأنثى وتسمى الأعدار والخفظ^(٣).

وأول من ثقبت أذناها وخفضت من النساء هاجر أم اسماعيل عليه السلام وذلك أن سارة غضبت عليها فحلفت أن تقطع منها ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم عليه السلام أن تبر بقسمها، فنقبت أذنها وخفاضها فصارت سنة في النساء^(٤).

أيضاً من المهن التي عملت بها بعض النساء ذوات الرايات وهن من يختلف إليهن الرجال وكلهم يواقعونهن في طهر واحد وإذا ولدت ألزمت أحدهم، أو أن يكون لها خليل يختلف إليها فإذا ولدت الحقته به فيتزوج بها بعد هذا^(٥). ومن المهن الاجتماعية في العصر الجاهلي (الخادمت، القينات والجواري) وكانت وظيفتهن إما الغناء أو الخدمة أو كلاهما، ومن ذلك إن امرؤ

(١) ابن الأثير، أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الله الشيباني، ٦٣٠هـ، الكامل في

التاريخ، (بيروت، دار الكتب العلمية) ١٤١٧هـ - ١٩٨٧م، ج ١، ص ٣٥٦.

(٢) باعامر، محمد سالم بكر، مختصر رحلة في ظلال السيرة النبوية، ٤هـ، (جدة - مكتبة الملك فهد الوطنية) ١٤٣٧هـ - ٢٠١٢م، ص ٢٧٠.

(٣) الطيب، صفية بنت عبد الرحمن، مرويات أمهات المؤمنين في شؤون النساء، ط، الرياض (مؤسسة الجريسي) ١، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، رسالة ماجستير منشورة، ص ٢٤، الطهطاوي، رفاعة رافع، الدولة الإسلامية نظامها وعمالقتها وهو المتمم لكتاب نهاية الإيجاز في سيرة ساكن

الحجاز، القاهرة: مكتبة الآداب، ١٤٠٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٤) الطهطاوي، الدولة الإسلامية نظامها ودلالاتها، ص ٣٠٢ - ٣٠٣.

(٥) الأندلسي، نشوة الطرب، ج ١، ص ١٤١.

القيس (١). كانت له قينتان يتغنون له (٢). ولما نزل أحد ملوك العرب بالشام على جذيمة الأبرش (٣). قدموا بالهدايا وكان معهم قينة لهم تسمى أم عمرو تقدم لهم الطعام (٤).

وأيضاً مثل قينتان هلال بن خطل (٥) كان مهنتهن الغناء فقط وحفظ الشعر. يتغنون به أمام ضيوفه، وكان قد أمرهم ذات يوم بحفظ الشعر يهجون به أحد أعدائه (٦).

وهناك مهن مارستها المرأة ومرتبطة بالتعليم والطب، فقبل إن بعض النساء كان عندهن علم الزجر وأن بلقيس كانت عالمة به وتوارثوه منها باليمن (٧). وكانت الكهانة فاشية في الجاهلية (٨). وكانت طريفة الكاهنة بنت الحبر أخذت علم الكهانة عن كهان باليمن ونقلت علمها فكان لها تلاميذ ومنهم شق

(١) امرؤ القيس، أحد ملوك اللخمين بالحيرة وهو امرؤ القيس بن عمرو بن عدي بن نصر بن ربيعة اللخمي، يقال له البداء الأول، موقع نداء الإيمان.

(٢) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٢٥٢.

(٣) جذيمة الأبرش من العاربة الأولى ومن بني وبار بن أميم بن لوذ بن سام بن نوح، من أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مقالاً وأشدهم نكاية وأظهرهم حزمياً وأول من استجمع له الملك بأرض العراق وضم إليه العرب وغزا بهم وكان به برص. الطبري، الأعم، ج ١، ص ٨٣.

(٤) ابن الأثير، الكامل، ج١، ص ٢٦٤.

(٥) هلال بن خطل، كان اسمه في الجاهلية عبد العزى ولما أسلم سماه الرسول صلى الله عليه وسلم عبد الله وكان غدر بأحد المسلمين فنزع الرسول أمانه وأمر بقتله ولو متعلقاً بأستار الكعبة قتله أبو برزة رضي الله عنه وقد اتخذ جاريتان تغنيان سب الرسول صلى الله عليه وسلم، موقع الدرر السنة الموسوعة الحديثية.

(٦) علم الزجر، هو العيافة وهو ضرب من التكهن، ابن منظور لسان العرب ج٧ ص ١٦.

(٧) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ١٤٦.

(٨) الأشبهي، المستطرف، ج٢، ص ٦٩.

الكاهن^(١). وكان يعبر الروى وكانت طريقه وهي التي عبرت لزوجها هدم سد مأرب وتفرق قبائل اليمن^(٢).

وسعد بن جره الساحرة وكانت قد جلبت السحر من دنياوند^(٣) وتعلمته وسحرت سلقه أخوه من خيار جره^(٤). فصير كلهم وحوشاً لا يقرون مع الأنس ولا يطمنون إلى دعه ويرعون مع الوحوش وقد دعى عليها نابت بن قيدان بن اسماعيل^(٥). فأنساها السحر وهتك ستر الحياء عنها فلم تلبس ثوباً حتى ماتت وعند دفنها رفضتها الأرض حتى غرقت^(٦).

أيضاً سوداء بنت زمرة الكاهنة كانت كاهنة قريش وهي التي أخبرت قريش بأن منهم ناذره^(٧). وعرضوا عليها نساء قريش حتى قدمت آمنه بنت وهب فقالت هذه النذيرة أو تلدن نذيراً فولد الرسول صلى الله عليه وسلم^(٨).

(١) شق الكاهن، فهر بن صعيب بن يشكر بن رهم بن أفرك بن فيس بن عيقر بن أنمار بن نزار قال عنه أنه نصف إنسان تقلت في فيه طريقة بنت الخير الحميرية فورث الكهانة، ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ١٦٢.

(٢) الأندلسي، الطرب، ج ١، ص ١٤٦.

(٣) دنيا وند، الري من فتوح سعيد بن العاص أيام عثمان بن عفان فتحها سنة ٢٩ أو ٣٠ هـ، الحموي، معجم البلدان، ج ٢، ص ٤٧٥ - ٤٧٧.

(٤) جره، بطن من القحطانية كانت منازلهم أولاً باليمن ثم انتقلوا إلى الحجاز فنزلوه ثم نزلوا مكة واستوطنوها، كحالة، معجم القبايل، ج ١، ص ١٨٣.

(٥) ثابت بن قيدان بن اسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، وإليه يرجع العدنانيون، أنظر القلقشندي، نهاية الإرب، موقع الوراق.

(٦) ابن منبه، التيجان، ص ٢١٧-٢١٨.

(٧) المحذرة أو المخوفة أو المبلغة. من الإبلاغ أو تلذذ ناذرة " الرسول صلى الله عليه وسلم قال تعالى (إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً)، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٨) الأندلسي، الطرب، ج ١، ص ٣٦٧.

أيضاً من الكاهنات كاهنة الملكة الزباء والتي كانت تسألها عن أمرها وملكها^(١). والنظرة بنت الضيزن وكانت ساحرة تزوجت من سابور ملك فارس وعملت له سحراً بهدم ملك أبيه^(٢).

أيضاً كان من المهين خط الرمل^(٣) فقيل خرج عمرو بن عبد الله بن معمر ومعه مالك بن خراش الخزاعي عازبين فمرا بامرأة وهي تخط للناس في الأرض فضحك منها مالك هزواً، وقال: ما هذا؟ فقالت أما والله لا تخرجن من سجستان^(٤). حتى تموت ويتزوج عمرو هذا زوجتك فكان كما ذكرت^(٥).

وقد عرفت المرأة في الجاهلية بفصاحتها وقولها الشعر وظهر العديد من النساء الشاعرات، التي تذخر كتب الأدب والتاريخ بهن ومنهن أخت عمرو بن ود التي رثت أخيها بقولها:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله

لقد بكيت عليه آخر الأبد

لكن قاتله من لا يهاب به

وكان يدعى قديماً بيضة البلد^(٦)

(١) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٦٣.

(٢) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ١٨٠-١٨٢.

(٣) خط الرمل، وضع خطوط على الرمل أو رسمه صور لأشخاص أو على ورقة بطريقة معينة يزعم بهذه التكهينات معرفة الغيب وهي من الأمور المحرمة شرعاً، موقع، الجمهرة في معرفة مفردات المحتوى الإسلامي، انظر معالم السنن الخطابي شرح صحيح مسلم للنووي، معجم المصطلحات الشرعية.

(٤) سجستان، ناحية كبيرة وولاية واسعة وهو اسم الناحية وان اسم مدينة زريح بيتها وبين هراة عشرة أيام وثمانون فرسخاً وأرضها كلها رملة سبخة وبها نخيل ولا يقع بها ثلج فهي أرض سهلة، الحموي، معجم البلدان، ج٣، ص ١٩٠.

(٥) الأشيبي، المستطرف، ج٢، ص ٧١.

(٦) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٣٦٨.

وأيضاً الفريعه بنت خالد الخزرجيه، أم حسان بن ثابت كانت من شاعر الجاهلية وهي القائلة:

للناس بيت يديمون الطواف به

ولي بمكة لو يدرون بيتان

فواحد لجلال اله أعظمه

وآخر لي به شغل بإنسان^(١).

وفاطمة بنت الأحجم الخزرجية، من بني النجار شاعرة جاهلية من شعرها:
قد كنت لي جبلاً الود بظله

فتركتني أضحي بأجرد ضاح^(٢).

ربطه بنت جزل الطعان كانت شاعرة وقد غزاها مريد بن الصمة ثم أنه
أسر فرأته في الأسر فقالت:

ستجزي دريداً عن ربيعة فعله

وكل سيجزي بالذي كان قدما^(٣).

جنوب الكاهنة، وكانت شاعرة مجيدة من شعرها في رثاء أخيها:
قأقسم يا عمرو لو بنهاك

إذا أتيتها منك داء عضالاً^(٤).

وقد ملئت بطون الكتب بالعديد من الشاعرات كعفيرة ابنة عفار أخت
الأسود بن عفار عظيم جديس ورئيسها، ومن شعرها:

لا تغدرن بهم فالغدر منقصة

وكل غدر له عقبى وإن صغرا^(٥).

(١) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ١٩٦.

(٢) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ١٩٨.

(٣) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٣٧٤.

(٤) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٣٩١.

(٥) الحميدي، نشوان بن سعيد، ٦١٠-٦٨٥، ملوك حمير وأقيال اليمن، ط٢، (بيروت، دار العودة)

١٩٧٨م، ص ١٣٨-١٣٩.

أيضاً من المهن المرتبطة بالأعمال السياسية في العصر الجاهلي أن بعض القبائل أتاحت لنساء المشاركة في إدارة شؤون البلاد فظهرت منهن زرقاء اليمامة كانت ملكة في اليمن بعد طسم^(١). وهي أول من ملك من جديس^(٢). وقد اختارها قومها لحكمتها وفضلها^(٣).

وبلقيس استخلفها والدها الهدهاد بن شرحبيل على اليمن كان لها معرفة بسياسة الملك ولها قصة مع نبي الله سليمان^(٤). وكان لها عدد من النساء يبلغن ثلاثمائة وستون من بنات أشراف حمير^(٥). وكان لها بطانات ومستشارات يتم اختبارهن لمدى صلاحيتهن للعمل من غير الصالحة فالتى ترغب بالعمل أبقتها والتي لا ترغب سرحتها إلى أهلها وتزوجها وبلغت مدة ملكها سبع سنين وقيل أكثر^(٦). أيضاً ممن تولى الحكم من نساء العرب الزباء وكانت ملكة بالشام ذات فكر ودهاء، وأصابت من تجارب الملوك وأصبح لها رأي وتجربة ومعرفة وهي التي غدى قولها مثلاً يضرب به في المواقف المشابهة بيدي لا بيدك يا عمرو^(٧).

ومن أعمالهن أيضاً ببلاط الحكام الوصيفات، ومن يعملن في بلاط الملوك لأبنائهن وأزواجهن فقل أن هدية بلقيس لنبي الله سليمان عليه السلام مائة وصيف ومئة وصيفة وكان هدفها بعد أن ولدن في يوم واحد والبستهم زياً واحداً ليعلم من منهن أنثى أو ذكر^(٨).

(١) طسم: قبيلة من العرب العاربة تنسب إلى طسم بن لاود بن إرم كانت ديارهم اليمامة وما حولها إلى البحرين وقد انقرضت، كحالة، المعجم، ج٢، ص ٦٨٠.

(٢) جديس قبيلة من العرب العاربة البائدة كانت مساكنهم اليمامة والبحرين، وكان يجاورهم في مساكنهم طسم، كحالة، معجم القبائل، ج١، ص ١٧٢.

(٣) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٥٢.

(٤) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ١٢٣-١٣٠.

(٥) حمير، بطن عظيم من القحطانية ينتسب إلى حمير بن سبأ بن يشجب بن يثرب بن قحطان واسم حمير العرفج انتشرت بينهم اليهودية وكانوا يعبدون الشمس، كحالة، معجم القبائل، ج١، ص ٣٠٥-٣٠٦؛ ابن منبه، التيجان، ص ١٦٦-١٦٢.

(٦) ابن منبه، التيجان، ص ١٦٦-١٦٢.

(٧) الأندلسي، الطرب، ج١، ص ٥٩، ٦٦، ٧٠.

(٨) ابن منبه، التيجان، ص ١٦٧.

ومن المهن للمرأة قيادتها للجيش في المعارك مثلما كان من بلفيس ملكة سبأ وكانت تقود الجيوش، وكانت قد غزت بجيوشها مكة واعتمرت وتوجهت إلى أرض بابل وغلبت عليها وبلغت نهاوند وأذربيجان^(١). وكان حراسها الرجال الذي يأزرونها^(٢).

وبعض النساء كن يعملن بالتجارة ولم يكن يمارسها بأنفسهن ولكن كن يستأجرن الرجال لها ويكتفى بأنهن مالكات لهذه التجارة. مثلما كان في قوم ثمود والمرأتان اللاتي كن لهن مواشي من الإبل والغنم وكان أزواجهن يقمن بالعمل وهما المرأتين اللاتي كن سبب عقر الناقة^(٣). وأيضاً كان من تجار السيدة خديجة بنت خويلد كانت تستأجر الرجال للقيام بتجارتها^(٤).

وقد تبين مما سبق أبرز المهن التي قامت بها المرأة في العصر الجاهلي واتضح ما يلي:

- ١- ان ابرز أعمال المرأة في العصر الجاهلي هي وظيفتها الرئيسة كأم ومربية لأبنائها وراعية لبيت زوجها وأنه أعدت لأجل ذلك ن قبل أبويها.
- ٢- إن المرأة في الجاهلية مارست العديد من الأعمال ومنها أعمالاً مناطة بالرجال.
- ٣- نتيجة لطبيعة المجتمع الجاهلي مارست أعمال تتنافى مع طبيعة المجتمع الإسلامي. لم يكن هناك أعمال ترفض المرأة القيام بها في العصر الجاهلي حتى تلك التي تتعارض مع القيم كان هناك نساء يعملن بها.

(١) أذربيجان، هي إقليم واسع، أشهر مدنها تبريز وهي قصبته وأكبر مدنها صنع جليل ومملكة

عظيمة القالب يغلب عليها الجبال وفيها قلاع كثيرة وخيرات واسعة وفواكه جمه وما رأي ناحية

أكثر بسايتها ومياها جاريه، الحموي، المعجم، ج ١، ص ١٢٨.

(٢) ابن منبه، التيجان، ص ١٦١.

(٣) ابن منبه، التيجان، ص ٣٨٨-٣٨٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٥٠.

٤- ان المرأة العربية في العصر الجاهلي تميزت بفصاحتها وبيانها وبلاغتها وحفلت بطون أمهات الكتب بالعديد من الشاعرات والبليغات فكانت ترد الحكمة من أفواههن.

المرأة وخدمة المجتمع منذ العصر النبوي حتى العصر الراشدي

برز دور المرأة واضحاً منذ انبثاق الدعوة الإسلامية وأسهمت في نصرته الدين فكانت الوعاء الذي أحتضن الدعوة وهمومها منذ فجرها وكانت خير معين لسيد الخلق صلى الله عليه وسلم في سبيل إبلاغ ونشر هذا الدين ولا أدل على ذلك من السيدة خديجة بنت خويلد التي اختارها الله عز وجل لتكون أولى زوجات سيد العالمين وكان لسماتها رضي الله عنها أثر في وقوفها بجانبه فكانت حادة الذكاء فطنة لما يدور حولها من أحداث، ولا شك أن لعملها بالتجارة أثره في ذلك فجعلها أكثر دقة وتتبعاً للأخبار حولها مستمعة لما يدور في المجتمع من أحداث ويتضح ذلك من حديث ابن عباس إن نساء مكة احتفلن بعيد يقام بربح وهن أمام أحد الأصنام تمثل لهن رجلاً وقال لهن " يا نساء تيماء إنه سيكون في بلدكن نبي يقال له أحمد يبعث برسالة الله فأیما امرأة أن تكون له زوجاً فلتفعل "(١).

وبغض النظر عن صحة وصدق هذه الرواية فإن خديجة كانت تعمل بالتجارة وقد يكون خبر النبوة قد تناقل بين التجار من خلال الرهبان الذين في بلاد الشام فإنها كانت " ذات شرف ومال كثير وتجارها تبعث بها الى الشام " (٢) وهذا يفسر أيضاً سبباً آخر لتصديقها لنبوة النبي وتثبيتها له حين المبعث وأيضاً يدل على أن خبر بعثة النبي أنتشر داخل مكة وأنه قبيل مبعثه كان أمره متحدثاً به ويظهر ذلك من قول زيد بن عمرو بن نفيل (٣) كان يقول في

(١) ابن سعد ، الطبقات، ج٨، ص ٢٥٠.

(٢) ابن سعد ، الطبقات، ج٨، ص ٢٥٠.

(٣) زيد بن عمرو بن نفيل والد سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرين وابن عم عمر بن الخطاب سئل عنه النبي فقال " يبعث أمة وحده يوم القيامة " كان يتعبد في الجاهلية على دين ابراهيم، ابن الأثير، الغاية، ج٢، ص ١٥٧.

الجاهلية قبل المبعث لعامر بن ربيعة^(١). " أنا انتظر نبياً من ولد اسماعيل ثم من بني عبد المطلب وأراني ادركه وأنا أؤمن به وأصدقته وأشهد أنه نبي فإن طالت بك مدة فرأيتته فافرئته مني السلام وسأخبرك ببعثه " ^(٢). وهذا يدل على أن السيدة خديجة سمعت بذلك كله. فكانت مؤمنة بالرسول صلى الله عليه وسلم مصدقة به حتى عندما بعث وجاء إلى السيدة خديجة يخبرها قالت له " كلا والله ما كان ريك يفعل بك ما اتيت فاحشة أبداً " ^(٣).

وفي رواية أخرى أنها قالت لتثبته " كلا والله لا يخزيك الله أبداً إنك لتصل الرحم وتقري الضيف وتحمل الكل^(٤) وتكسب المعدوم وتعين على نوائب الحق " ^(٥). ونلاحظ هنا ثبات ورجاحة عقل السيدة خديجة فهي امرأة تبلغ من العمر أربعين فلو أنها بالعشرين عاماً لاختلف تصرفها في الموقف، ولإتهمته بالجنون والمرض ولأدت لإرجافه ولكن رشدتها وحكمتها ولأنها من بيت علم جعلت تثبته وتؤكد له صدق ما رأى وقامت بإرساله إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس ما ذكر لها غلامها من قول الراهب^(٦). وما كان يرى منه إذ كان الملكان يظلاله فقال ورقة لئن كان حقاً يا خديجة إن محمد لنبي هذه الأمة قد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبي ينظر هذا زمانه وجعل ورقة يستبطن الأمر ويقول حتى متى وقال في ذلك:

(١) عامر بن ربيعة بن عامر بن مالك أسلم قديماً بمكة وهاجر إلى أرض الحبشة مع امرأته ثم هاجر إلى المدينة وشهد المشاهد كلها توفي سنة ٣٣هـ، ولم يختلفوا أنه حليف للخطاب لأنه تبناه، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٩٠-٧٩١.

(٢) الطبري، الأمم، ج ٢، ص ٣٨١.

(٣) الطبري، الأمم، ج ٢، ص ٣٨٥.

(٤) الكل، العيال والنقل، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ١٠٣.

(٥) ابن كثير، البدائية، ج ٣، ص ٣؛ ابن الأثير، ج ٤، ص ١٥٤؛ ابن الجوزي، الوفاء، ج ١، ص ٢٦.

(٦) الراهب، المتعبد في الصومعة وأحد رهبان النصارى، ابن منظور، لسان العرب، ج ٦، ص ٢٤٠.

لَجَبْتُ وَكُنْتُ فِي الذِّكْرَى لَجُوجًا ... لَهُمَّ طَالَمَا بَعَثَ النَّشِيحَا (١)
وَوَصَفْتُ مِنْ خَدِيجَةَ بَعْدَ وَصْفِ ... فَقَدْ طَالَ انْتِظَارِي يَا خَدِيجَا
بِبَطْنِ الْمَكْتَنِ عَلَى رَجَائِي ... حَدِيثُكَ أَنْ أَرَى مِنْهُ خُرُوجًا
مِمَّا خَبَرْتَنَا مِنْ قَوْلِ قَسِّ ... مِنَ الرَّهْبَانِ أَكْرَهُ أَنْ يَعُوجَا
بِأَنَّ مُحَمَّدًا سَيَسُودُ فِينَا ... وَيَخْصِمُ مَنْ يَكُونُ لَهُ حَجِيجَا
وَيَظْهَرُ فِي الْبِلَادِ ضِيَاءُ نُورٍ ... يُقِيمُ بِهِ الْبَرِيَّةُ أَنْ تَمْوَجَا
فِيَأْتِي مَنْ يَحَارِبُهُ خَسَارًا ... وَيَلْقَى مَنْ يُسَالِمُهُ فُلُوجَا
فِيَا لَيْتَنِي إِذَا مَا كَانَ ذَاكُم ... شَهِدْتُ فَكُنْتُ أَوْلَهُمْ وَلُوجَا (٢)

وهذا تفسير لما أسرعته السيدة خديجة رضي الله عنها بتصديقه وتثنيته فكانوا فقط ينظرون نزول الوحي ليقطع الشك باليقين، وكان من قول الرسول صلى الله عليه وسلم عندما أخبره بشأنه فقال له " هذا الناموس " (٣) الذي ينزل على موسى يا ليتني فيها جذعاً ليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم، فقال نعم لم يأت أحد بمثل ما جئت به إلا عودي وإن بدري يومك أنصرك نصراً مؤزراً " (٤)

ولم يكن هذا الموقف فقط للسيدة خديجة رضي الله عنها فقد نصرت هذه الدعوة أيضاً وبذلت نفسها ومالها لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقد حوصرت مع النبي صلى الله عليه وسلم وبني هاشم في الشعب وكانت سبباً في نصر الرسول صلى الله عليه وسلم، فقيل إن حكيم بن حزام (٥) كان يبعث لعمته خديجة

(١) ابن كثير، البيدانية، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٢) ابن كثير، البيدانية، ج ٢، ص ٢٩٦.

(٣) الناموس، وعاء العلم، الناموس جبريل، ويطلقه عليه أهل الكتاب، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٥٩.

(٤) ابن كثير، البيدانية، ج ٣، ص ١٢٩.

(٥) حكيم بن حزام بن خويلد، ابن أخو السيدة خديجة بنت خويلد وابن عم الزبير بن العوام ولد في الكعبة وهو من مسلمة الفتح ومن أشرف قريش ووجهها في الجاهلية والإسلام، كان جواداً. ابن الأثير، الغاية، ج ١، ص ٥٩٧.

بالطعام^(١) وهي مع الرسول ولا بد ان هذا إشفاقاً بعمته فعم خيرها على جميع من في الشعب ولنصرتها النبي صلى الله عليه وسلم وفاها الله جزاءها لإحسانها في الدنيا قبل الآخرة " فأرسل الله سلامه إليها مع جبريل أن أبلغ خديجة وبشرها ببيت في الجنة من قصب^(٢) لا نصب^(٣) ولا صخب^(٤) ".

ومن النساء الذين قمن بنصرة هذا الدين أسماء بن أبي بكر الصديق، ففي أثناء هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كانت أسماء أكبر ناصر وداعم لهجرة النبي صلى الله عليه وسلم من أصغر فرد بأسرتها إلى أكبرهم وأجلهم أبي بكر الصديق رضوان الله عليه فقد قامت أسماء بتزويد النبي وأبيها بالطعام حتى أنها عندما لم تجد شيئاً تعقد به الطعام فشقت مرطها وقامت بالتمنطق بواحد والأخر عقدت به الطعام لذلك دعيت بذات النطاقين^(٥) وأيضاً تحملها إخفاء خبر الهجرة والمكان المهاجر إليه حتى عندما دخل عليها أبو جهل لسؤالها عن مكان هجرة النبي وأبيها وقالت أنها لا تعلم لطمها لطمه أسقطت قرطها^(٦) ليس ذلك فقط بل تحملت هموم وكاهل هذه الأسرة في ظل غياب والدها وصغر إخوتها وكبر سن جدها وعدم وجود مالاً تتفق به عليهم لأن أبي بكر قد أنفق ماله كله في سبيل هجرته مع النبي صلى الله عليه وسلم ولم يترك لهم شيئاً ولا أدل على ذلك عندما سألتها جدها هل ترك والدها لهم شيئاً وكان أعمى لا يرى فأنتت بقطع من الحجارة وغطتها بغطاء وجعلته يتحسسها بيديه ليظن أن والدها ترك شيئاً وهو لم يترك

(١) الطبري، الأعم، ج ٢، ص ٤١٨.

(٢) قصب، أنابيب من جوهر، الرازي، مختار الصحاح، ص ٤٧٢.

(٣) نصب، الشر والبلاء، الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٨٢.

(٤) صخب، الصياح والجلبة وشدة الصوت باختلاطه، ابن منظور، لسان العرب، ج ٨، ص ٢٠٥؛

ابن الأثير، إسد الغاية، ج ٨، ص ١٥٥.

(٥) الطبري، الأعم، ج ٢، ص ٤٥٦.

(٦) القرط نوع من حلي الأذن المعروف، ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٧٢؛ الطبري،

الأعم، ج ٢، ص ٤٥٦.

لهم شيء (١). أضف أنهم مكثوا أياماً صابرين محتسبين لا يعلمون أين يتوجه رسول الله فكان بالفعل كما وصفت بإنها جلده صبورة حنكتها الأيام والتجارب رضوان الله عليها فرأيناها وهي طاعنة في السن وأبنها يستشيرها في قتاله للحجاج بن يوسف الثقفي (٢) فنقول صابرة محتسبة لا يضر الشاة سلخها بعد ذبحها (٣) فحملت كلماتها بني طياتها لأبنها الثبات والشجاعة والإقدام رغم الأهوال.

وأيضاً من النساء الذين نصرن الدين:

رقية بن أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف كان لها دور عظيم أثناء هجرة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أخبرت النبي صلى الله عليه وسلم بما تدبره قريش من القضاء على النبي صلى الله عليه وسلم وحذرتة ألا يبيت تلك الليلة في فراشه فنام علي بن أبي طالب بدلاً منه في فراشه (٤) فكانت عوناً لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأن تخفي خبر خروجه على قريش فلا يخلصون إليه فتكون نجاة الرسول ونجاة دعوته بذلك فتلحق بالمدينة ولا يتعارض مع قول ابن الأثير إن الذي أتى النبي هو جبريل فأخبره بأن لا يبيت على فراشه (٥) مع القول بأن رقية هي من أخبرت الرسول بأن لا يبيت الليلة في فراشه (٦) فالرسول صلى الله عليه وسلم سمع من جبريل وأخفى الخبر ثم جاءته رقيه تخبره وربما سمعت باجتماع قريش في دار الندوة وما دبر من مؤامرة لقريش لقتله فتنامى لها الخبر فجاءت فخبرتة وقد أخبره الله.

(١) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٦-٧.

(٢) الحجاج بن يوسف الثقفي، كان ظلوماً جباراً خبيثاً سفاكاً للدماء ذا شجاعة وإقدام ومكر ودهاء وفصاحة وبلاغة وتعظيم للقرآن، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ٤، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٣) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٣-٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٦١.

(٥) ابن الأثير، الكامل، ج ٢، ص ٦٣-٤.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٦١.

أيضاً ممن نصرن رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف عمه رسول الله صلى الله عليه وسلم من سماتها رضوان الله عليها شجاعته وصبرها مع فطنة وذكاء، فعندما غزى النبي غزوة أحد، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد وضع أزواجه بالآطام فخشيت صفية أن يدل على عوراتهن فطلبت من حسان بن ثابت أن ينزل إلى اليهودي فيقلته فكانه هاب ذلك فأخذت عموداً ونزلت وفتحت الباب فضرته بالعمود^(١) وهي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين^(٢)، ومن شجاعته أيضاً أنه لما انهزم الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءت بيدها رمح تضرب وجوههم وتردهم إلى رسول الله^(٣). أيضاً ممن نصرن رسول الله صلى الله عليه وسلم نسيبه بنت كعب أم عمارة لما كانت غزوة أحد وانهزم الناس عن رسول الله قامت أم عمارة بالقتال تذب عن رسول الله حتى جرحت ثلاثة عشر جرحاً وقيل ضربت ضربة على عاتقها ظلت تتداوى منها لمدة سنة^(٤) وشهدت غير أحد الحديبية وخيبر وعمرة العقبة، وحينئذ وبوم اليمامة قطعت يدها، وعندما جاءت مروطاً^(٥) لعمر بن الخطاب بعث بها إلى أم عمارة وقال " سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يوم أحد " ما التفت يمينا ولا شمالاً إلا وأنا أراها تقاتل دوني " ^(٦). أيضاً ممن نصرن الرسول صلى الله عليه وسلم الخنساء بنت عمرو بن الشريد وكان لها دور عظيم في نصره الدين يوم القادسية، فقد عملت على نصح ابنائها وحثهم وتحريضهم على بذل ما عندهم في سبيل الله وعدم الفرار فقالت " وقد تعلمون ما أعد الله للمسلمين من الثواب الجزيل في حرب الكافرين وأعلموا أن الدار الباقية خير من الدار الفانية يقول الله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٦٣-٢٦٤.

(٢) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٢، ص ١٥٤٣-١٥٤٤.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ص ٢١٤، قسم النساء.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ١، ص ٤٤٠-٤٤١.

(٥) مروطاً: ألبسة من صوف أو خز كان يوترز بها، الرازي، مختار الصحاح، ص ٥٤٧.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٤٢.

وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١﴾ فإذا أصبحتم غداً إن شاء الله سالمين فاغدوا إلى قتال عدوكم مستبصرين وبالله على أعدائه مستبصرين وإذا رأيتم الحرب قد شممت عن ساقها، واضطرمت لظي على سيقها، جللت ناراً على أرواقها، فتيتموا وطيسها، وجالدوا رئيسها عند احتدام خميسها، تظفروا بالغنم والكرامة، في دار الخلد والمقامة^(٢). وعندما جاءها نعيمهم. قالت: الحمد لله الذي شرفني بقتلهم، وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر رحمته^(٣). ومن إجلال عمر وتقديره كان يعطيها ارزاق أولادها الأربعة كاملة حتى قبض^(٤).

أيضاً ممن كان لهن دور في خدمة الدين أروى بنت عبد المطلب بن هاشم عمّة النبي صلى الله عليه وسلم وكانت تعاضد وتتصر الرسول بلسانها وتحض ابنها على نصرته والقيام بأمره^(٥).

ويتضح مما سبق أن المرأة في عصر صدر الإسلام كانت النصف المكمل للرجل فهي ربة البيت ولها دورها المجتمعي في نصرته الدين وأهله بالرغم من انشغالها بتربية أبنائها والتبعل لزوجها، وأداء مهامها داخل دارها، ومما جاء عنها في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ونصرته ودعوتها الغير لاتباعه عندما قام أبو جهل وعدد من قريش بإيذاء النبي فقام طليب بن عمير^(٦). إلى أبو جهل فضربه ضربة شجه فأخذه وأوثقوه فقام أبو لهب بإطلاقه، فقال لأروى^(٧)

(١) سورة آل عمران آية ٢٠٠.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٢٨، ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٨، ص ١١١.

(٣) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٢٩.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٢٩.

(٥) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٧٩.

(٦) طليب بن عمير بن وهب بن أبي كثير بن عبد بن قصي الدوسي أمه أروى بنت عبد المطلب بن هاشم تكنى أبا عدي هاجر للحبشة وشهد بدرًا قتل يوم اليرموك يقال هو أول من أريق دم في سبيل الله وقيل سعد بن أبي وقاص، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٧٧٢-٧٧٣.

(٧) أروى بنت عبد المطلب، عمّة النبي صلى الله عليه وسلم كانت تعضد النبي صلى الله عليه وسلم ، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٧٧٩.

إن ابنك ينصر محمداً ويزود عنه ففالت " خير أيامه يوم يذب عن ابن خاله وقد جاء الحق كما قامت بحث أبو لهب على نصرته الرسول واتباعه " (١).
أم سلمة الأنصارية شهدت اليرموك وقتلت يومئذ تسعة وقيل سبعة من الروم بعمود فسطاطها (٢).

واستمرت المرأة في القيام بالعمل لخدمة المجتمع الإسلامي والذب عن حياضه وفق ضوابط الإسلام، فاخترت مهن كان ظهرت في العصر الجاهلي وبرزت مهن أخرى في الإسلام واستمرت مهن أخرى كانت تمارس في الجاهلية. فمن المهن التي برزت في ظل الإسلام وتعاليمه التعليم، فعندما جاء الإسلام. حث على العلم وبين منزلة العالم والمتعلم قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٣). وقوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٤) وقوله صلى الله عليه وسلم " من سلك طريقاً يلتمس منه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها رضا لطلب العلم وإن طالب العلم يستغفر له من في السماء والأرض حتى الحيتان في الماء وإن فضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب، إن العلماء ورثة الأنبياء، إن الأنبياء لم يرثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ قسطاً وافراً (٥) وممن أخذ منه قسطاً وافراً النساء، وكن أزواجه قدوة للمسلمات جميعاً إذ كنا مبادرات للاستماع لأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم خاصة فيما يتعلق بشؤونهن وبرز منهن السيدة عائشة رضي الله عنها وكان أكابر الصحابة يسألونها عن الفرائض، وقال عطاء بن أبي رباح (٦) كانت عائشة من أفقه الناس وأحسن

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٦٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٢؛ ابن عساکر، أعلام النساء، ص ٣٧.

(٣) سورة الزمر آية ٩.

(٤) سورة فاطر آية ٢٨.

(٥) موقع الدرر السنية، الموسوعة الحديثية.

(٦) عطاء بن رباح، اسمه أسلم وهو مولى حبيبة بنت ميسرة بن أبي خشم نشأ بمكة انتهت إليه فتوى أهل مكة وأبي مجاهد وأكثر إلى عطاء وكان أسود أعور أفتس، أشل أعرج، كان ثقة فقيهاً عالماً كثير الحديث، ابن حجر، التهذيب، ج ٣، ص ١٠١-١٠٢.

الناس رأياً في العامة ذكر عنها عروة فقال ما رأيت أحد أعلم بفقهِ ولا بطب ولا بشعر من عائشة^(١) ولا أشكل عليهم من أمر إلا سألو عائشة عنه فوجدوا عندها علماً، ولو جمع علم عائشة إلى علم جميع أمهات المؤمنين وعلم جميع النساء لكان علم عائشة أفضل^(٢)، وانفردت بمسائل عند الصحابة لم توجد إلا عندها^(٣)

وعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال: ما رأيت أحد أروى لعشر من عروه فقيل له ما أرواك يا أم عبد الله قال وما روايتي من رواية عائشة ما كان ينزل بها شيء إلا أنشدت فيه شعراً^(٤) وقد امتدح علمها أيضاً عبد الله بن الزبير رضي الله عنهم جميعاً فقيل كان ابن الزبير إذا حدث عن عائشة قال والله لا تكذب عائشة على رسول الله صلى الله عليه وسلم ابداً^(٥).

وتبين أن عائشة كان علمها في تخصصات عدة في الحديث والفقهِ والأدب والطب وقد روت عن كثير وروى عنها عدد كبير من الصحابة منهم عمرو وابنه عبد الله وأبو هريرة وأبو موسى ومن آل بيتها، وزيد بن خالد وابن عباس وربيعة بن عمر الخرخشي والسائب بن يزيد وصفية بنت شيبه وعبد الله بن عامر بن ربيعة وعبد الله بن الحارث بن نوفل وغيرهم، واختها أم كلثوم وأخوها من الرضاعة عوف بن الحارث وابن أخيها القاسم وعبد الله بن محمد بن أبي بكر وبنت أختها الآخر وحفص وأسماء بنت عبد الرحمن بن أبي بكر وحفيدة عبد الله بن أبي عتيق ومحمد بن عبد الرحمن وابنا اختها عبد الله وعروة بن الزبير بن العوام من أسماء بنت أبي بكر وحفيد أسماء عباد وحبيب ولدا عبد الله بن الزبير وحفيد عبد الله بن عباد بن حمزة بن عبد الله بن الزبير وبنت اختها عائشة بنت

(١) ابن الأثير، أسد الغابة، ج ٨، ص ١٥٥١.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٣٣.

(٣) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٨، ص ٩٢.

(٤) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٨٨٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٧٧.

طلحة من أم كلثوم بنت أبي بكر ومواليها، أبو محمد وذكوان، وأبو يونس وابن فروخ^(١).

من كبار التابعين سعيد ابن المسيب، وعروة بن ميمون، وعلقمة بن قيس ومسروق وعبد الله بن حكيم، والأسود بن يزيد وأبو سلمه بن عبد الرحمن، وأبو وائل وآخرون كثيرون^(٢)، وكان لها تلميذات عددن، بعد ذلك في عصرهن عالمات مثل عمره بنت عبد الرحمن وكانت ربيبة عائشة، ولم يكن أحد أعلم بحديث عائشة منها^(٣). أيضاً عائشة بنت طلحة بن عبد الله التميمية روت عنها وكانت عائشة خالتها وحدث عنها أناس لفضلها وادبها^(٤).

ومن خلال سرد هذه الأسماء الجلييلة يتبين الدور العظيم الذي قدمته السيدة عائشة في سبيل نشر العلم وهذا الذي انفردت به المرأة المسلمة في العصر الإسلامي عنه في العصر الجاهلي إذ أسهمت بإثراء الحياة العلمية في الإسلام، بينما أسهمت المرأة في العصر الجاهلي بإثراء الحياة الأدبية من شعر وأمثال وحكم.

ومن عالمات الأمة أيضاً زوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أم سلمة رضي الله عنها كانت من حسان النساء وعابداتهن^(١)، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن أبي سلمة وفاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم وروى عنها ابناها عمرو وزينب ابنا أبي سلمة بن عبد الأسد ومكاتبها نبهان وأخوها عامر بن أبي أمية. وابن أخيها مصعب بن عبد الله بن أبي أمية ومواليها عبد الله بن رافع ونافع وسفينة وأبن كثير وأبو سفينة وخيره أم الحسن البصري وسلمان بن يسار وأسامة بن زيد بن حارثة وهند بنت الحارث الفراسية وصفية بنت شيبة وأبو

(١) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٣٥.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٣٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١١، ابن حجر، التذهيب، ج ٤، ص ٦٨٢-٦٨٣.

(٤) ابن حجر، تذهيب، ج ٤، ص ٤٦٥.

(٥) ابن كثير، البيدلية، ج ٨، ص ٢١٥.

عثمان النهدي وحמיד وأبو سلمة ابن عبد الرحمن بن عوف، وسعيد بن المسيب ووائل وصفية بنت محض والشعبي وعبد الرحمن بن أبي بكر وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام وأبناء عكرمة وأبو بكر وعثمان بن عبد الله بن عبد الله بن وهب، وعروة بن الزبير، وكريب مولى ابن عباس، وقبيصة بن ذؤيب، ونافع مولى ابن عمر ويعلي بن مملك وآخرون^(١).

ومن الأحاديث المروية عنها عن أم الحسين انها كانت عند أم سلمة رضي الله عنها فأتى مساكين فجعلوا يلحون وفيهم نساء فقلت اخرجوا أو أخرجن فقالت أم سلمة ما بهذا أمرنا يا جارية ردي كل واحد أو واحدة ولو بتمرة تضعيها في يدها^(٢).

ومن الأحاديث أيضا أم الحسن البصري روت عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها رأتها تصلي في درع وخمار^(٣).

أم محمد بن يزيد بن المهاجر روت عن أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت: تصلي المرأة في الدرع السابغ والخمار^(٤).

وممن برزن من الصحابيات أسماء بنت عميس، روت عن النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنها عمر بن الخطاب، وابن عباس، وروى عنها ابنها عبد الله بن جعفر وحفيدها القاسم بن محمد بن أبي بكر، وعبد الله بن عباس، وهو أبن اختها لبابه بنت الحارث وابن أختها الأخرى عبد الله بن شداد بن الهاد، وحفيدتها أم عون بنت محمد بن جعفر بن أبي طالب وسعيد بن المسيب وعروة بن الزبير وآخرون^(٥).

(١) ابن حجر، التهذيب، ج ٤، ص ٦٩٠.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٩٣٩.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٦٩ تعريف الدرع والخمار.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٦٩.

(٥) ابن حجر، التهذيب، ج ٤، ص ٦٦٤، ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٢٤١، ابن الأثير، اسد الغابة،

وكانت قد برزت في تفسير الروىء وكان عمر يسألها عن تفسير المنام ونقل عنها أشياء في ذلك أضف إلى أنها كانت ترقى وقد رقت أبناء جعفر بن أبي طالب عندما مرضوا بالعين. (١)

الشفاء بنت عبد الله بن عباس، كانت ترقى من النملة وأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تعلمها حفصة. (٢) ولعل النبي لمس من حفصة أن لديها القدرة والوقت الكافي دون غيرها من نساءه في تعلمها، وربما اهتمامها ورغبتها حرص على أن تتعلم. (٣)

أيضاً ممن برزن أسماء بنت زيد الأنصارية من بني عبد الأشهل وكانت رسول ووافدة النساء إلى النبي صلى الله عليه وسلم روى عنها مسلم بن عبيد أنها أنت النبي صلى الله عليه وسلم وهو بين أصحابه فقالت بأبي وأمي انت يا رسول الله أنا وافدة النساء إليك إن الله عز وجل بعثك للرجال والنساء كافة. فأمننا بك وبإهلك وأنا معشر النساء محصورات مقصورات. قواعد بينكم ومقضى شهواتكم، وحاملات أولادكم وإنكم معشر الرجال، فضلتم علينا بالجمع والجماعات وعبادة المرضى وشهود الجنائز، والحج بعد الحج وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله عز وجل وإن الرجل إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مجاهداً حفظنا لكم أموالكم وغزلنا أثوابكم (١) وربينا لكم أولادكم أفما نشارككم في هذا الأجر والخير، فالتقت النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال: "هل سمعتم مقالة امرأة قَط أحسن من مساعلتها في أمر دينها من هذه؟" فقالوا: يا رسول الله، ما ظننا أن امرأة تهتدى إلى مثل هذا. فالتقت النبي صلى الله عليه وسلم إليها فقال: "افهمي، أيتها

(١) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٥ - ١٦.

(٢) ابن حجر، التذهيب، ج ٤، ص ٦٦٤، ابن حجر، الإصابة، ص ١٦.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ص ١٥٣٩.

(٤) غزلنا، غزلت المرأة القطن والكتان وأدارت المغزل، ابن منظور، لسان العرب، ج ١١، ص ٤٦.

المرأة، وأَعْلَمِي مَنْ خَلْفَكَ مِنَ النِّسَاءِ أَنْ حُسْنَ تَبَعُلِ (١) المرأة لزوجها وطلبها مرضاته واتباعها موافقته يَعْدِلُ ذَلِكَ كُلَّهُ". فانصرفت المرأة وهي تهلل (٢).

وهنا أيضاً لخصت أبرز أدوار المرأة في الإسلام وهي تربية أبنائها ورعايتهم ومساعدة الزوج وحسن التبعل له وحفظ أمواله وإن هذا يعد أعظم خصيصة اختصت بها المرأة وهي بذلك دون أي مهنة أخرى تعدل في الأجر أجر جميع ما يقوم به الرجل من عمل وأوضح وبينت أعلى ذروة السنام وأجل مهنها وهي ما قامت به في بيتها وأيضاً ما بين دورها في داخل بيتها ما قالته أسماء بنت أبي كبر الصديق رضي الله عنها " قالت تزوجني الزبير وما له في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير فرسه قالت: فكنت أعلف فرسه وأكفيه مؤنته وأسوسه وأدق النوى (٣) لناضحته (٤) وأعلفه وأستقي الماء وأخرز غريبه وأعجن ولم أكن أحسن أخبز فكن يخبزن لي جارات من الأنصار وكن نسوة صدق وكنت أنقل النوى من أرض الزبير التي أقطعها رسول الله صلى الله عليه وسلم على رأسي وهي منى على ثلاث فراسخ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم لقيها يوماً وعليها النوى على رأسها، فأراد أن يحملها على بعير فذكرت غيرة الزبير فرفضت أن تسير مع الرجال، ثم بعث لها رسول الله بخادماً فكفأها سياسة الفرس فقالت فكأنما أعتقني (٥)

ومن الأعمال التي خدمت بها المرأة مجتمعها أيضاً أن القليل منهن كن يجدن الشعر والذي كان يظهر فيه أثر الإسلام على المرأة المسلمة فجاء مبيناً فضائل وقيم الإسلام وثناءهم على الرسول صلى الله عليه وسلم وفضل أصحابه،

(١) تبعل، طاعة الزوج والمحبة له وحسن العشرة، ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ١١٦..

(٢) ابن حجر، التهذيب، ج ٤، ص ٦٤٠-٦٤١، ابن حجر، الإصابة، ص ٣٣٦.

(٣) النوى: نواة أو عجمة التمر، والجمع أنواء، الرازي، مختار الصحاح، ص ٦٠٤.

(٤) الناضح، البعير أو الثور أو الحمار الذي يستقى عليه الماء، ابن منظور، ج ١٤، ص ٢٧٩.

(٥) ابن عساكر، علي بن الحسين بن حبة الله ٤٩٩-٥٧١هـ، أعلام النساء، ت محمد عبد الرحيم، ط

الأولى، (بيروت، دار الفكر) ١٤٤٤هـ - ٢٠٠٤م، ص ٢٧.

ومن أشهر الشاعرات في الإسلام الخنساء بنت عمرو الشريد بن رباح، السلمية الشاعرة، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستتشدها ويعجبه شعرها، فكانت تتشده ويقول هيه يا خناس " وأجمع أهل العلم بالشعر أنه لم تكن امرأة قبلها ولا بعدها أشعر منها" (١) وقال عنها النابغة الذبياني (٢) إنها أشعر الجن والأنس (٣). وأورد ابن سعد أن عمات النبي كنا شاعرات وأنهن رثين النبي صلى الله عليه وسلم وهن:

أرورى بنت عبد المطلب ومن مرثيتها:

فدا لرسول الله أمي وخالتي وعمي ونفسي قصره ثم خاليا
صبرت وبلغت الرسالة صادقاً وقمت حبيب الدين أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقا نبينا سودنا ولكن أمرنا كان ماضيا
عليك من الله السلام تحية وأدخلت جنات من العدن راضيا (٤)

وأيضاً عاتكة بنت عبد المطلب رثت الرسول فقالت
يا عين فإنهمري بالدمع واجتهدي

للمصطفى دون خلق الله بالنور

بمستهل من الشؤبوب ذي سيل

فقد رزنت بني العدل والخير

وكننت من الموت مشفقة

وللذي خط من تلك المقادير

(١) ابن الأثير، الغاية، ص ١٥٠٧؛ ابن حجر، الإصابة، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) النابغة الذبياني، زياد بن معاوية يكنى أبا أمامة مفصل عند أهل الحجاز كان أحسنهم ديباجة شعر وأكثرهم رونق كلام وأجزلهم تيباً ليس في شعره تكلف كان يفضل شعره عمر بن الخطاب وكان يضرب له قبة في سوق عكاظ تأتيه الشعراء ليعرض عليهم شعره، ابن منبه، الشعر والشعراء، ج ١، ص ١٥٦-١٦٦.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٢.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٢.

من فقد أزهر صافي الخلق ذي فخر

صافي من العيب والعاهات والزور

فانذهب حميداً جزاك الله مغفرة

يوم القيامة عند النفخ في الصور (١)

وصفية بنت عبد المطلب رثت الرسول صلى الله عليه وسلم

عين جودي بدمعة وسهود
واندبي المصطفى بحزن شديد
كدت أقضي الحياة لما أتاه
فلقد كان بالعباد رؤوفاً
رضي الله عنه حياً وميتاً
وجزاه الجنان يوم الخلود (٢)

أيضاً رثته هند بنت الحارث بن عبد المطلب وهند بنت ائاثه بن عباد بن عبد مناف أخت مسطح بن ائاثه (٣) ورثته أيضاً أم أيمن بركة الحبشية (٤) وأمنه المريديّة قالت شعراً في قصة أبي عفك (٥) وكان قد أظهر نفاقه ونال من النبي صلى الله عليه وسلم فقال من لي بهذا الخبيث. فقام سالم بن عمير احد بن عمرو بن عوف فقتله وقالت في ذلك:

تكذب دين الله والمرء أحمدا
حباك حنيف آخر الدهم ممنة
لعمر الذي امناك أن بئس ما يمني
أبا عفك خذها على كبار السن (٦)

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٢-٤١٣.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٥.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٢-٤١٥.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٢، ص ٤١٥.

(٥) أبي عفك اليهودي هو شاعر يهودي من بني عمرو بن عوف ثم بني عبيده، وكان شيخاً كبيراً قد بلغ من العمر مئة وعشرين سنة، قتل جراء شعره الذي أغضب الرسول فقتله سالم بن عمير، موقع

WIK wan nd

(٦) ابن حجر، الإصابية، ج ٨، ص ٢٧.

وأيضاً من الشاعرات خولة بنت ثابت أخت حسان لها شعراً^(١) وقيل أيضاً إنه كان لحسان بنتاً شاعرة^(٢)

عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل القرشية العدوية ابنة عم عمر بن الخطاب تزوجها عبد الله بن ابي بكر الصديق وكانت حسناء جميلة فأحبها حباً شديداً حتى غلبت عليه وشغلته عن مغازيه فلما توفي عنها رثته:

فأليت لا تفكك عني حزينه عليك ولا ينفك جلدي أغبراً^(٣)

ويلحظ على شعر النساء في العصر الإسلامي، إنه قل عدد النساء الموسومات بالشاعرات ولا يرد ذكر لهن بهذا المعنى سوى الخنساء بنت عمرو ولا نجد في كتب طبقات الشعراء عدد منهن مما يدل على ضعف تناوله من قبل النساء في ذلك العصر، ولعل السبب في ذلك يرجع لإنشغال النساء المسلمات في ذلك العصر بالعلوم الدينية ودراستها وروايتها كالحديث والفقه والقرآن وعلومه، ولا أدل على ذلك من قول أم ورقة التي قالت قد جمعت القرآن^(٤)، بالإضافة لكثيرات مروياتهن لأحاديث متعلقة بالشؤون النساء^(٥)، أيضاً من الآتي كن يقصن على النساء أم الحسن البصري خيره^(٦).

ومن المهن التي مارستها المرأة في الإسلام الطب وقد اختفت مهنة الطب المرتبطة بالسحر والشعوذة والكهانة والتي كانت سائدة في العصر الجاهلي وكل ما يرتبط بها من خط الرمل والمعتقدات الفاسدة بظهور الإسلام، فأصبح الطب في الإسلام على أساس من العلم والمعرفة والتجربة وظهر جلياً واضحاً في الطب النبوي، مما يشير إلى أن الإسلام خدم هذه المهنة وقدم لها أساساً وركائز

(١) ابن حجر، الإصايب، ج٨، ص ١١٠.

(٢) ابن منبه، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٢٩٧.

(٣) ابن الأثير، الغاية، ص ١٥٤٧.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٥.

(٥) المطلب، مرويات النساء، جميع أبوابه تتعلق بالنساء في الحيض والنفساء والغسل.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٦٩، الكتاني، نظام الحكومة الإدارية، ج ٢، ص ٣٨.

يعتمد عليها علم الطب وأحدث تطويراً تاريخياً لهذه المهنة على عكس من يدعي أن العصر الإسلامي لم يضيف شيئاً لمهنة الطب^(١) ومن أبرز من اشتهرن بذلك الوقت السيدة عائشة رضوان الله عليها، قال هشام بن عروة^(٢) عن أبيه: ما رأيت أحد أعلم بفقهِ ولا بطب ولا بشعر من عائشة^(٣) وتعجب عروة^(٤).

من علمها الطب وسائلها عن أخذته قالت أي عروة إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يسقم عند آخر عمره أو في آخر عمره فكانت تقدم عليه وفود العرب من كل وجه فتتعت له الأنعات فكانت أعالجها عن ثم^(٥)، ولا شك أن علم النبي بالطب كان له أثر عليها فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يا عائشة إذا طبختم قدرًا فأكثرُوا منها من الدواء^(٦) فإنها تشد قلب الحزين^(٧). بالإضافة إلى ما كانت تتعلمه من العرب وما ينعنون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتعالجه بها أو بعالج به غيره مثلما حدث عندما عاد النبي سعد بن أبي

(١) ابن القيم الجوزية، زاد المعاد في هدي خير العباد، ط٣، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، ج٤، ص ٣٧٩-٣٨١؛ حمادة حسين، تاريخ العلوم عند العرب، (بيروت، دار الكتاب اللبناني) ط١٩٨٧ م، ص ٦٥-٦٦.

(٢) هشام بن عروة بن الزبير بن العوام، ثقة حجة كثير الحديث إمام فيه، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ٦٨١.

(٣) ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج٤، ص ٦٨١.

(٤) عروة بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي أبو عبد الله المدني روى عن أبيه وأخيه عبد الله وأمه أسماء بنت أبي بكر وخالته عائشة وعن كثيرين، مدني تابعي ثقة كان رجلاً صالحاً لم يدخل في شيء من الفتن، كان عروة بحر لا ينزف، ابن حجر، التهذيب، ج٣، ص ٩٢-٩٣.

(٥) ابن الجوزي، الصفوة، ج٢، ص ٣٤٣.

(٦) الدباء، القرع، حمل اليقطين الواحد قرعة أكثر ما تسميه العرب الدباء، ابن منظور، لسان العرب، ج٢، ص ٧٨. موقع موضوع.

(٧) ابن القيم، زاد المعاد، ج٤، ص ٣٧١.

وقاص فدعا له بالحارث بن كلدة^(١)، فقال لهم ما له من باس فاتخذوا له فريقه وهي الحلبة مع تمر عجوة رطب يطبخان فيحساها ففعل ذلك فبرئ^(٢).
أيضاً ممن كن يمارسن مداوة الناس، خالدة بنت أنس الأنصارية عرضت على النبي الرقية فأمر بها^(٣) كذلك رفيده الأنصارية أو الأسلمية كانت امرأة تدأوي الجرحى، وتحتسب بنفسها على خدمة من كانت به ضيعة من المسلمين^(٤).

كعبه بنت سعد الأسلمية وهي التي كانت لها خيمة في المسجد تدأوي المرضى والجرحى وكان سعد بن معاذ عندما جرح يبقى في خيمتها تدأوي جراحه حتى مات وقبل بل إنها رفيد الأنصارية التي فعلت ذلك عند بعض المؤرخين^(٥)
نعمه بنت جعفر بن أبي طالب إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لنعمه بنت جعفر بن أبي طالب " مالي أرى اجساد بني جعفر أنضاء ابهم حاجة قالت لا ولكنهم تسرع إليه العين أفارقهم قالت فعرضت عليه كلاماً لا باس به فقال أرقهم^(٦)

أم كبشة القضاعية قالت لرسول الله يا رسول الله إنني لست أريد أن أقاتل إنني أريد ان أدأوي الجرحى والمرضى وأسقي الماء قال " لولا أن تكون سنة يقال فلانة خرجت لأذنت لك ولكن أجلسي"^(٧).

(١) الحارث بن كلدة الثقفي كان طبيب العرب حكيماً، مات في أول الإسلام، ولم يصح اسلامه، ابن

عبد البر، الإستيعاب، ج ٣، ص ٢٨٣.

(٢) ابن القيم، زاد المعاد، ج ٤، ص ٢٧٦-٢٧٧.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٩٧-٩٨.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٣٦.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ج ٢، ص ٢٩٧؛ ابن الأثير، الغابة، ج ٨، ص ١٥١٦.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٣٣٦.

(٧) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٤٥٥.

الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية، ربما غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتداوي الجرحى وترد القتلى إلى المدينة، وكانت من المبايعات تحت الشجرة بيعة الرضوان^(١).

الشفاء بنت عبد الله بن عبد شمس بن خلف بن حداد بن عبد الله بن قرط العدوية أم سليمان بن أبي خيثمة قيل اسمها ليلي كانت ترقى في الجاهلية، برقى عرضتها على رسول الله تسمى برقية النمل، فقال لها أرقى بها وعلميها حفصة. "باسم الله صلوا صب صبر تعودا من أفواهاها فلا تضر أحد اللهم اكشف اليباس رب الناس" قال ترقى بها على عود كركم^(٢) سبع مرار وتضع في مكانا نظيفاً ثم تدلك على حجر بخل خمر ثقيف وتطليه على النمل^(٣)، وربما هنا لمن تعرض جسمه لوخزات النمل فإنها توضع على مكان الذي وخزه النمل فيه مثل اللبخت لأن بعض وخزات النمل، يكون لها تورم شديد على الجلد وربما هي من تجربتها العديدة منذ الجاهلية تأكدت أنه علاج نافع وشافى لذلك أقرها النبي، أضف إلى ذلك أنها نفتت عليها معتقدة بشفائها من رب العالمين وإنما هي سبب.

أم أيمن بركة الحبشية حضرت أحداً وكانت تسقي الماء وتداوي الجرحى وشهدت خيبر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤).

أم عطية الأنصارية غزت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سبع غزوات فكانت تصنع لهم طعامهم وتحلفهم في رحالهم تداوي الجرحى وتقوم على المرضى^(٥).
أم سنان الأسلمية استأذنت النبي تخرز السقاء وتداوي الجرحى فإذن لها تكون مع أم سلمة^(٦).

(١) ابن الأثير، الغاية، ج٨، ص ١٥١٥.

(٢) كركم، هو الزعفران، وقيل العصفور، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٥٤.

(٣) ابن الأثير، الغاية، ج ٨، ص ١٥٤.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٦٣.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤١٥٤٥٩، الطهطاوي، الدولة الإسلامية نظامها وعمالها، ص ٣٠٣.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ص ٤١١-٤١٢.

حمنة بنت جحش بن رئاب - أمها أميمة بنت عبد المطلب وزوجة مصعب بن عمير كانت قد حضرت أحد تسقي العطشى وتداوي الجرحى (١). معاذة الغفارية، كانت تخرج مع رسول الله ﷺ في الأسفار تقوم على المرضى وتداوي الجرحى (٢).

ليلى الغفارية، كانت تخرج مع النبي ﷺ في مغازيه تداوي الجرحى وتقوم على المرضى (٣).

أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث، كان رسول الله ﷺ يزورها ويسميها الشهيذة وكانت قد جمعت القرآن وكان رسول الله ﷺ حين غزا بدرًا قالت له تأذن لي فأخرج معك أداوي جرحاكم وأمراض مرضاكم لعل الله يهدي لي الشهادة، قال إن الله مهد لك الشهادة فكان يسميها الشهيذة (٤).

أم سليم بنت ملحان بن خالد وهي القميصاء ويقال الرميصاء ويقال أسمها سهلة ويقال رميلة أسلمت أم سليم وبايعت رسول الله ﷺ وشهدت يوم حنين وشهدت قبلها احد تسقى العطشى وتداوي الجرحى، وكان معها خنجرًا ربطت به وسطها يوم أحد وقالت يكون معي إن دنى مني أحد من المشركين عليهن بقرت به بطنه وأقتل الطلقاء وأضرب أعناقهم إنهمزوا بك (٥).

أمية بنت قسي بن أبي الصلت، الغفارية كانت مع رسول الله ﷺ عليه وسلم يوم خيبر تداوي الجرحى وتعين المسلمين (٦).

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٧.

(٢) ابن الأثير، الغاية، ج ٨، ص ١٥٨٣.

(٣) ابن الأثير، الغاية، ج ٨، ص ١٥٧٩.

(٤) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٤٦.

(٥) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٤٦.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٩٥.

أيضاً مارست المرأة أعمال تطوعية منها خدمة لمجتمعها تعقد في ظروف معينة ومن خلال النصوص السابقة أشرنا إليها حيث كانت تعمل على اسقاء الجرحى وتصنع الطعام في المعارك وتخدمهم في رحالهم أيضاً.
ممن قمن بأعمال تطوعية:

أم سليط من المبايعات حضرت مع النبي صلى الله عليه وسلم يوم احد قال عمر بن الخطاب، كانت فيمن يزفر لنا القرب يوم أحد (١).
علاته وقد روي أنه أرسل لها سهل بن سعد يبلغها أن تطلب من غلامها النجار أن يصنع لهم منبراً كالذي صنع لرسول الله صلى الله عليه وسلم (٢).
وحفصه بنت محمد أوصى لها عمر فلما دنت وفاتها أوصت بما أوصى لها عمر صدقة تتصدق بها جعلتها وقفاً بالغابة (٣).
خرقاء امرأة سوداء كانت تقم (٤). المسجد النبوي (٥). وخرقاء أخرى كانت امرأة حبشية تلتقط وتميط (٦). الأذى عند مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم (لها كفلان من الأجر) (٧).
ومحجنه، وقيل أم محجن امرأة سوداء كانت تقم المسجد وهي من أهل المدينة عندما تقدها النبي صلى الله عليه وسلم ما خبر أنها قد ماتت فقال " ألا أتيتموني بها " فخرج فصلى عليها (٨).

(١) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٤٥٥.

(٢) سهل بن سعد أخو سهل بن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلبه. ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٢، ص ٦٦٤-٦٦٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ص ٨٦؛ ابن الأثير، الغيبة، ص ١٤٩٦.

(٤) تقم، قم الشيء كما كنسته وهي حجازية، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٢، ص ١٩٣.

(٥) ابن الأثير، الغيبة، ص ٦-١٥.

(٦) تميط، تنحي وتبعد، موقع المعجم الصغير.

(٧) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ١٠٥.

(٨) ابن الأثير، الغيبة، ج ٨، ص ١٥٨١؛ ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٣١٤.

أيضاً من المهن التي قامت بها المرأة في صدر الإسلام ومرتبطة بالحياة الاجتماعية.

القابلات: وهن يقمن بتوليد النساء ومن أشهرهن الشفاء أم عبد الرحمن بن عوف كانت قابلة للنبي صلى الله عليه وسلم، وأنها أخبرت حين سقط رسول الله على يديها وأستهل سمعت قائلاً يقول برحمتك الله وأنه سطع منه نور زويت منه قصور الروم^(١). وقيل شهدت ولادته أيضاً فاطمة بنت عبد الله ام عثمان بن أبي العاص الثقفي حين وضعته أمه آمنه وكان ذلك ليلاً فقالت فما شيء أنظر إليه من البيت إلا نور وإني لأنظر أرى النجوم تدنو مني حتى إني لأقول لتقعن علي^(٢). ولا تعارض أن تكون الشفاء وأم عثمان حضرتتا ولادة الرسول وأنها تعاونتا في ولادتها ولكن جعل الله شرف وضعه على يد الشفاء فسقط في يديها.

أيضاً سلمى مولاة، رسول الله كانت قابلة لسيدة خديجة بن خويلد في جميع أولادها القاسم وعبد الله وزينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وكانت تعد قبل ذلك كل ما يحتاج إليه، وهي قابلة لماريه أم إبراهيم بإبراهيم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد أخبرت زوجها ابي رافع أن ماريه ولدت غلاماً فجاء أبي رافع مبشراً رسول الله به فوهب له رسول الله غلاماً^(٣).

وقيل انها أيضاً كانت قابلة لبني فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٤). ومن القابلات سوده بنت مسرح وقيل إنها كانت قابلة لسيدة فاطمة بنت الرسول صلى الله عليه وسلم حين وضعت الحسن وإنه جاءها رسول الله وهي في المخاضة^(٥). فسأل عنها فقال إنها لتجهد فوضعت فسرته^(٦). وولفته في

(١) ابن كثير، البيداء، ج ٢، ص ٢٠٤.

(٢) ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤، ص ١٩٠٠.

(٣) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٦٣-٣٦٤؛ الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج ٢، ص ١١٨.

(٤) ابن الأثير، الغاية، ص ١٥٣٣؛ الكتاني، نظام الحكومة الإدارية، ج ٢، ص ٧٨.

(٥) المخاضة، المطلق وهو وضع الولادة، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٤.

(٦) فسوته، السرة وسط القصب والسر و السرر ما يتعلق من سره المولود فيقطع وسره سرأ قطع سوره، ابن

منظور، لسان العرب، ج ٧، ص ١٦٨.

خرقه^(١). صفراء فقام النبي بإزالتها ولفه في خرقة بيضاء فتقل في فيه وسقاه من ريقه ودعى علياً فسماه جعفرأ قال لا ولكنه الحسن^(٢).

وكان لهذه المهنة عوائد لمن تقوم به سواء كانت عينية أو ماليه مثلما حدث في ماريه عندما وضعت ابراهيم وهب المبشر به غلاماً أيضاً من المهن المرتبطة بالمرأة الحافظات^(٣). وهي التي تقوم بالختان " وهو موضع القطع من الصبي والجارية ويطلق على هذه المهنة لفظ الإعذار أو الحفظ "^(٤).

ومن أبرز من قام عليها أم عطية الخافضة وكانت تخفض النساء وقال لها النبي أشمي لا تنقصي ولا تتهكي (لا تبالغي) فإنه أسرى للوجه وأحظى عند الزوج أكثر لما ء الوجه ودمه وأحسن في جماعها " ^(٥). وهي غير أم عطية الأنصارية التي تداوي الجرحى وكان الختان عادة موجودة عند العرب مما يدل على ذلك أن عبد المطلب بعد ولادة الرسول دفعه إلى بعض النسوة من قريش يقمن بالاعتناء به بعد ولادته فوضعوا على جسمه قدراً إلى اليوم التالي فلما جاءوا إليه وجدوه مسروراً مختوناً وقد سقط القدر من عليه فقال لهم عبد المطلب احفظن فإن ابني هذا سيكون له شأنأ^(٦).

وقد أكد ابن العديم إن الرسول لم يولد مختوناً ولكن ختن كغيره من الناس، وإنه ربما ولد شبه مختوناً ثم ختن مرة أخرى وأنه بشر يحدث له ما حدث لناس

-
- (١) خرقة، القطعة من خرق الثوب والخرقة الممزقة منه، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ٥٢.
- (٢) ابن حجر، الإصابة، ص ١٩٥، الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج٢، ص ١١٨، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج٤، ص ١٨٦٨.
- (٣) الحافظات، الخاتنة، وخفظت الجارية يحفظها حفظاً وهي كالختان للغلام ويكون الخفض للمرأة والختان الطبي، ابن منظور، لسان العرب، ج٥، ص ١١٢.
- (٤) الطيب، صفية بنت عبد الرحيم، مرويات أمهات المؤمنين، ص ٢٤.
- (٥) الكتاني، نظام الحكومة النبوية، ج ٢، ص ١١٨ ؛ ابن حجر، الإصابة، ص ٤٣٨ ؛ الطهطاوي، الدولة الإسلامية عمالاتها، ص ٣٠٢-٣٠٣..
- (٦) ابن كثير، البيداء، ج٢، ص ٢٦٦.

مثلما ولد بحظ الشيطان ثم أزيل منه أثناء حادثة شق صدر الرسول صلى الله عليه وسلم واحتج بذلك (١).

أيضاً من المهن التي ارتبطت بالمرأة المرضعات وكانت عادة عند العرب أن يلتمسوا المرضع لأبنائهم ولعلم أسباب ذلك تأخذها من إرضاع النبي وهو رغبة الآباء بنشأة ابنائهم تنشئة صحية وقوية بإرسالهم إلى البادية . لأن هواء البادية عليل وأصبح للأبدان وطعامهم به قوة للأبدان أضف إلى ذلك رغبتهم في أن ابنائهم يتلقون اللغة العربية الفصيحة، وذكرت مسبقاً لا أدل على ذلك من قول النبي صلى الله عليه وسلم " أنا أعريكم أنا قرشي واسترضعت في بني سعد (٢).

أيضاً أن والدته كانت لا تستطيع إرضاعه إما لمرض ألم بها أو أنها كانت ذات ثدي لا يدر اللبن وقيل أيضاً إن يهودي قال في أحد المجالس إن مولود ولد لهم الليلة على كتفيه شعرات كعرف الفرس وإنه لا يرضع ليلتين لأن جان وضع يده في فمه فلا يرضع (٣).

ولا تعتقد بصحة هذه الرواية ولكن ربما أن والدة النبي كان لا يدر لبنها ولم تستطع إرضاع النبي وهذا واضح لأنه منذ ولادته في الأسبوع الأول أخذته ثوبية لإرضاعه وكانت مولاة لأبي لهب وأختلف في إسلامها (٤). وهي اول من أرضعت الرسول صلى الله عليه وسلم بلبن ابنائها يقال له مسرور أياماً قيل أن تقدم حليلة وأرضعته قبله حمزة وبعده أبا سلمة بن عبد الأسد، وقد أكرمها الرسول في كبرها فكان يصلها وهي بمكة وكانت خديجة تكرمها. وكان قد طلب من أبي لهب بيعها فرفض ولما هاجر الرسول صلى الله عليه وسلم أعتقها وكان

(١) الحلبي نور الدين، السيرة الحلبية، ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، ج ٢، ص ٢٧٥؛ باعمر، رحلة، ص ٢٧.

(٣) ابن كثير، البداية، ج ٢، ص ٦٧.

(٤) ابن الأثير، الغاية، ص ١٤٨٨.

رسول الله يبعث إليها بصلته ويكسوها حتى جاء الخبر أنها ماتت سنة سبع مرجعة من خيبر ومات قبلها ابنها مسرور^(١).

ومن مرضعات النبي وأكثرهن ارضاعاً حليلة بنت أبي ذؤيب أم رسول الله صلى الله عليه وسلم التي أرضعته وقد اوردت كتب المؤرخين قصة قدومها من بني سعد^(٢). في أيام جدباء وليس في ضرعها لبن وكانت ترضع ابنها فلا يدر طوال الليل حتى عندما قدمت مكة وجدت جميع نساء بادية بني سعد قد حصلن على غلام وعدت ولم يتبقى لها إلى غلاماً يتيماً أنفت أن تأخذه في بداية الأمر لأنه لا يوجد له والد ينفق عليه وتأتيهم عوائد من عملها ذلك إلا أنها وجدت أنها لا تريد أن تعود بدون غلام فأخذت النبي فوجدت فيه البركة^(٣).

ولما كبرت جاءت حليلة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقام إليها وبسط لها رداءه فجلست عليه^(٤).

وقد اخطأت بعض المراجع عندما وصفت أم أيمن بركة بنت ثعلبة الحبشية أنها أرضعت النبي فلم ترضعه ولكن كانت حاضنته وربما هي أيضاً كانت تربي مع خديجة ابناها. وورد في بعض المراجع أن هناك بعض العواتك كنا مرضعات لنبي صلى الله عليه وسلم لم نجد في كتب الطبقات أحد من العواتك أرضعت النبي^(٥).

(١) ابن حجر، الإصابة، ص ٦٠؛ باعمر، مختصر رحلة، ص ٢٦-٢٧.

(٢) بني سعد هم ولد سعد بن بكر من هوازن ومنهم شرع بن عامر بن قسمة وعروة بن محمد بن عطية بن عروة ولي اليمن والحارث بن عبد العزى وزوجته حليلة التي أرضعت النبي، الكلبي، جمهرة النسب، ص ٣٩٤.

(٣) ابن الأثير، أسد الغابة، ص ١٤٩٧-١٤٩٨؛ باعمر، مختصر رحلة، ص ٢٧.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٨٧.

(٥) باعمر، مختصر رحلة، ص ٢٧.

ومن المرضعات أيضاً أم بردة ابنة المنذر بن زيد بن لبيد بن النجار وهي التي أرضعت ابن النبي إبراهيم، وكان قد أرسله لها ساعة وضعت أمه مارية، فلم تزل ترضعه حتى مات عندها وهي زوج البراء بن أوس^(١).

وقيل إن ممن أرضعته أم سيف مرضعة ابن النبي صلى الله عليه وسلم امرأة أبي سيف العتتين ولا يمنع أن يتولين اثنتين الإرضاع^(٢). ويتبين من باب الإرضاع الذي ذكرناه إن عادة التماس المرضع عادة عند العرب لظروف عدم قدرة الأم على الإرضاع لضعفها وعدم إدرار ثديها اللبن وليس عادة دون مسبب وهذا واضح في وضع ظروف السيدة آمنه بن وهب وفي حفيدتها فاطمة والواضح أنهن منذ ولادتهن طلبن المرضع لعدم قدرتهن الجسمية على الإرضاع وكان للمرضعات أجور على إرضاعهن إما نقدية أو عينية كما ذكر في قصة حليلة السعدية.

أيضاً من اعمالهن المرتبطة بظروف المجتمع الجوارى وقد كثر خدامهن نتيجة لكثرة تواجدهن في المجتمع بسبب ظروف الفتح الإسلامي وكان أكثر استخدامهن في صدر الإسلام (التسري - الخدمة - الغناء)، وممن ذكرنا في بطون كتب الطبقات:

أميمة مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخادمته كانت توضع رسول الله صلى الله عليه وسلم^(٣).

بركة الحبشية كانت مع أم حبيبة بنت أبي سفيان تخدمها ثم قدمت معها وهي التي شربت بول النبي صلى الله عليه وسلم^(٤).

(١) البراء بن أوس بن خالد بن أكبر بن عوف هو ابو إبراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم من

الرضاع لأن زوجته أم بردة أرضعته بلبنه، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ١، ص ١٥٣.

(٢) الطهطاوي، الدولة الإسلامية نظامها وعمالقتها، ص ٣٠٣؛ ابن عبد البر، الاستيعاب، ج ٤،

١٩٢٦-١٩٣٣؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٤٥٢.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ص ٣٦.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ص ٤٧.

بريدة مولاة رسول الله كان النبي إذا استيقظ من الليل دعى جارية له يقال لها بريدة بالسواك (١).

ومن حديث سلمى أم رافع بسنده إنها قال كان خدم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا وخضره ورضى وميمونة بنت سعد أعتقهن كلهن (٢).

خولة خادمة الرسول صلى الله عليه وسلم حدث أن جرو (٣). دخل البيت فدخل تحت السرير ومكث النبي ثلاثاً لا ينزل عليه الوحي فقال النبي يا خولة ما حدث في بيت رسول الله إن جبريل لا يأتيني فقلت والله ما علمت فأخذ برده (٤). فلبسه وخرج فقلت لو هيات البيت فكنته فإذا بجرو ميت فأخذته فألقيته فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم ترعد لحيته وكان إذا أتاه الوحي أخذته الرعدة (٥). فقال يا خولة دثريني فأنزل الله تعالى ﴿وَأَلِّئْهُنَّ لِأَيْمَاتِكُنَّ اللَّيْلُ إِذَا سَجَى﴾ (٦).

فضة النوبية (٧). جارية فاطمة الزهراء، أخدمها الرسول لأبنته فاطمة وكانت تشاطرها الخدمة فعلمها رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاء تدعو به فقالت لها فاطمة أتعجنين أو تخبزين فقالت بل أعجن سيدتي واحتطب فذهبت واحتطبت وبيدها حزمه أرادات حملها فعجزت فدعت بالدعاء الذي علمها وهو " يا واحد ليس كمثل أحد تميت كل أحد وتعنتي كل أحد وأنت على عرشك واحد

(١) ابن حجر، الإصابة، ص ٥٠.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ص ١٠٦.

(٣) جرو، ولد الكلب والسباع، الرازي، المختار، ص ٨٩.

(٤) برده كساء أسود مربع فيه صدر تلبسه الاعراب، المختار، ص ٤١.

(٥) الرعدة، الإضطراب، المختار، ص ٢١٧.

(٦) سورة الضحى، الآيات رقم (١، ٢)؛ ابن حجر، الإصابة، ص ١٢٢.

(٧) النوبية، تنسب إلى بلاد النوبة، الفرض والدولة والنوبة جبل من السودان، ابن منظور، لسان

العرب، ج ١٤، ص ٣٧٨.

ولا تأخذه سنة ولا نوم فجاء أعرابي كأنه من أزد شنؤه^(١). فحمل الحزمة إلى باب فاطمة^(٢).

لهيه جارية عمر بن الخطاب وأم ولده وكانت تخدم ابنته حفصة وهي التي أرسلتها حفصة تتفقد الرسول فوجدته عند زوجه صفيه فجاءت فأخبرت حفصة وأرسلت لهبه تخير صفيه بما قالت حفصة (فقالت صفية والله إني لأبنة هارون وإن عمي موسى وإن زوجي لرسول الله صلى الله عليه وسلم)^(٣).

ماريه خادمة النبي صلى الله عليه وسلم تكنى أم الرباب وهي التي تطأطأت لنبي صلى الله عليه وسلم حيث سعد حائطاً ليلة فر من المشركين^(٤). نوبه خادمة النبي صلى الله عليه وسلم قالت عائشة مرض النبي فأشدت مرضه فوجد في نفسه خفة فمر بين بريره ونوبة^(٥).

أم عباس خادم النبي صلى الله عليه وسلم وقيل كانت أمه لرقية بنت النبي صلى الله عليه وسلم وقالت كنت أوضيء رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا قائمة وهو قاعد^(٦). ونلاحظ في باب الجواري أن عددهن كبير وإن النبي صلى الله عليه وسلم كان له أكثر من خادمة ولا بد أنهن لم يكن يقمن في دار الرسول صلى الله عليه وسلم، لصغرهما ولكن ربما كنا يأتين إليه عند الحاجة إليهن أو لرغبتهن في خدمة الرسول صلى الله عليه وسلم ولم يكن ينتظرن مقابل منه

(١) أزد شنؤه اسم أعظم قبائل العرب وأشهرها نسبت إلى الأزدي بن الغوث بن كهلان من القحطانية وينقسمون إلى أربعة منهم أزد شنؤه وينسبون إلى كعب بن الحارث منازلهم سراهم وهم بنتليث وتربة وبيشه، كحالة، معجم القبائل، ج ١، ص ١٥-١٦

(٢) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٨١-٢٨٢.

(٣) ابن الأثير، الغاية، ص ١٥٨٧.

(٤) ابن الأثير، الغاية، ص ١٥٨٠.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ص ٣٣٨.

(٦) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٤٤٥.

نظير الخدمة وبما انهن كنا يعطين مما لدى بيوت أزواجه، وربما أيضاً تفيد كثرتهن أن أزواج النبي صلى متعدّدات وكان لكل واحدة منهن خادمة. أيضاً من الإماء، مارية القبطية: تسرى بها النبي صلى الله عليه وسلم وكان منها ابنه إبراهيم أهداها له المقوقس وكانت امرأة بيضاء جميلة جعده وأسكنها العاليه لما كثر خلفها مع نساءه^(١).

وسيرين وهي أخت، ماريه أم إبراهيم تسرى بها حسان بن ثابت شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم وكان منها ابنه عبد الرحمن الشاعر^(٢). ومن مهن النساء الغناء وكانت في الجوّاري وعندهن منهن حمامة المغنية، من جوّاري الأنصار، ذكر في حديث عائشة لما دخل أبو بكر عليها في يوم عيد وعندها جاريتان تغنيان سمى منهما حمامه^(٣).

أرنب المدنيه المغنية، روى أن جميلة المغنية أخبرته أنها سألت جابر بن عبد الله عن الغناء فقال نكح بعض الأنصار بعض أهل عائشه فأهدتها إلى قباء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم " أهديت عروسك ؟ قالت نعم قال فأرسلت معها بغناء فإن الأنصار يحبونه فقالت: لا قال فأدركنها بأرنب وهي امرأة تغني بالمدينة، قد ورد رخصة في الغناء وضرب الدف في العرس^(٤).

أميه بنت أبي قيس الغفاريه وهي التي كانت من ضمن النساء اللاتي زفن صفية بن حي إلى النبي صلى الله عليه وسلم^(٥).

أيضاً من المهن التي مارستها المرأة في صدر الإسلام الماشطة أو

المزينات ومنهن:

(١) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٣٥٥.

(٢) ابن قتيبه، الشعر والشعراء، ج ١، ص ٢٩٧.

(٣) ابن حجر، الإصباية، ص ٨٨.

(٤) الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، ج ٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ - ١٩٨٢م، ج ٣، ص ٥٦٤. ؛ ابن حجر، الإصباية، ج ٨، ص ٣٧.

(٥) ابن حجر، الإصباية، ج ٨، ص ٣٧.

سبره بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشية الأسدية، كانت ماشطة تقين النساء بمكة^(١).

أم زفر، ماشطه خديجة، انها المرأة التي قال النبي صلى الله عليه وسلم إنها كانت تغشانا في زمن خديجه، وقيل ان اسمها جثامه المزينه فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل أنت حضانه وفي رواية حسانه^(٢).

حفصه وعائشة خضبوا ومشطوا بنت النعمان بن الجوي لما تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم^(٣).

أسماء مقينه عائشة عنها قالت لما أقعدنا عائشة نجلها برسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جاءنا رسول الله فقرب إلينا لبناً وتمراً فقال: كلن واشربن فقلن يا رسول الله إنا صوم، فقال كلن واشربن ولا تجمعن جوعاً وكذباً قالت فأكلنا وشربنا وقيل أن المقينه اسماء هي أسماء بت يزيد بن السكن^(٤).

ام سنان الأسمية، قالت كنت فيمن حضر عرس صفيه فمشطناها وعطرناها وكانت من أضواء ما يكون من النساء، فأعرست بالرسول صلى الله عليه وسلم فسألناها، فذكرت أنها سر بها ولم ينم تلك الليلة لم يزل يتحدث معها وأصبح فأولهم عليها^(٥).

ولم تكن لهذه المهنة مبالغ مالية تؤتى لمن يقمن بها وربما كانت عينة من الطعام الذي يقدم في العرس وربما أخذن منها لأسرهن وهذه المهنة لمن يكن يقمن بها الجوارري ولكن كان يقمن بها سيدات القوم كما ذكر في الأمثلة السابقة ويرجع ذلك ربما لظروف الاجتماعية التي تكون عليها الطبقات العليا من المجتمع بتوفير جميع الاحتياجات لديهن وما ليس لديهن يقمن بشرائه من التجار

(١) ابن حجر، الإصابة، ج ٨، ص ٥١.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ص ٣٩٦.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٠-٢١.

(٤) ابن الأثير، أسد الغابة، ص ١٤٧٤؛ ابن حجر، الإصابة، ص ٤٣.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ص ٤١١-٤١٢.

كالطيب والأئتمد^(١) والحناء والكتم^(٢)، وكلها مخصصة لزينة المرأة، ومما تحتاجه بعض الماشطات النوره^(٣). والورس^(٤). وخاصة لتجهيز العروس. ومن المهن التي مارستها المرأة المغسلات ومن أبرز من قام بها في صدر الإسلام.

سلمى خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومولاة صفية بنت عبد المطلب ويقال لها مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهي امرأة أبي رافع مولى رسول الله وهي التي غسلت فاطمة مع زوجها علي وأسماء بنت عميس^(٥).

سلمى بنت فائق الثقفية كانت فيمن شهد غسل أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: فأول من أعطانا رسول الله صلى الله عليه وسلم من كفنها الحقو ثم الدرع^(٦). ثم الخمار^(٧). ثم الملحفة^(٨). ثم أدرجت في الثوب الأكبر إدراجاً ورسول الله صلى الله عليه وسلم خلف الباب يناولنا^(٩).

أم عطية الأنصارية، اسمها نسيبه بنت الحارث شهدت غسل ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحكت ذلك فأتقنت. حديثها أصل في غسل الميت

(١) الأئتمد، حجر يكتل به، الرازي، المختار، ص ٧٦.

(٢) الكتم، نبات يخلط بالوسيمه ويختضب به، الرازي، المختار، ص ٤٩٥.

(٣) النوره: من الحجر الذي يحرق ويسوى منه الكلس ويحلق به شعر العانة، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٣٨١.

(٤) الورس، نبات أصفر يكون باليمن تتخذ منه الصفرة للوجه، الرازي، المختار، ص ٦٣٢؛ ابن القيم، زاد المعاد، ج ٤، ص ٢٦٠، ٣٠٨، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٦٧، ٣٦٩.

(٥) ابن عبد البر، الإستيعاب، ج ٤، ص ١٨٦٢.

(٦) الدرع، درع المرأة قميصها، الرازي، المختار، ص ١٧٨.

(٧) الخمار، لباس تختمر به المرأة، الرازي، المختار، ص ١٦٦.

(٨) الملحفة: اللباس الذي فوق سائر اللباس من دثار برد ونحوه، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٣، ص ٧٩.

(٩) ابن حجر، الإصابة، ص ٣٠٦؛ ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٥.

وكان جماعة من الصحابة وعلماء التابعين بالبصرة يأخذون منها غسل الميت .

أيضاً منهن أسماء بنت عميس وكانت مغسلة للأموات وقد أوصى أبا بكر الصديق أن تغسله أمراًته أسماء بنت عميس وقالت أنا غسلت أم كلثوم وصفيه بنت عبد المطلب (١).

كانت أم أيمن وسوده بنت زمعه وأم سلمه ممن غسلن زينب بنت رسول الله فعن أم عطية قالت لما ماتت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم قال " اغسلناها وتراً ثلاثاً أو خمساً واجعلاً في الخامسة كافوراً (٢). أو شيئاً من كافور وفي رواية شيئاً من كافور وسدر (٣)، وإذا غسلناها فأعلمنني فلما غسلناها أعلمناه فأعطانا حقه فقال أشعرنيتها بها (٤).

أيضاً من المهن التي مارستها المرأة في صدر الإسلام ومرتبطة بالاقتصاد البيع والشراء.

أسماء بنت صخره وكان ابنها يرسل إليها بعطر من اليمن فكانت تبيعه إلى الأعطيه (٥).

الحولاء العطاره، كان بالمدينة امرأة عطارة تسمى الحولاء بنت توبت فجاءت حتى دخلت على عائشة فقالت يا أم المؤمنين إني لأتطيب كل ليلة وأتزين كأني عروس أزف فأجيء حتى أدخل في لحاف زوجي أبتغي بذلك مرضاة ربي فيحول وجهه عني فأستقبله فيعرض عني ولا أراه إلا قد أبغضني فقالت، لا تبرحي حتى يجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما جاء قال " إني لأجد ريح الحولاء فهل انتكم وصل أبتعم منها شيئاً قالت عائشة لا ولكن جاءت

(١) بن حجر، الإصابة، ج٨، ص١٦، ٤٦٠، ٢٦٦.

(٢) كافور، الطلع وقيل وعاء الطلع، الرازي، المختار، ص ٥٠٥.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ج٨، ص ١٦، ٢٦٦، ٤٦٠.

(٤) ابن حجر، الإصابة، ص ١٧.

(٥) ابن حجر، الإصابة، ص ٩٤.

تشكو زوجها فقال لها مالك يا حواء، فذكرت ما ذكرت لعائشة فقال: أذهبي أيتها المرأة فاسمعي وأطيعي لزوجك، قالت يا رسول الله فما لي من الأجر، فذكر الحديث في حق الزوج على المرأة والمرأة على الزوج ومالها في الحمل والولادة (١).

ربطه بنت عبد الله بن معاوية الثقفية امرأة عبد الله بن مسعود كانت امرأة صناعاً وليس لعبد الله بن مسعود مالاً وكانت تنفق عليه وعلى ولده (٢).
قيله الأثماليه أخت بني أنمار لها صحبة قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم عند المروة يحل عمره له فقلت إني امرأة أشترى وأبيع فاستام أكثر مما أريد ثم أنفض حتى أبيعها بالذي أريد... الحديث (وفيه لا تعقلي) (٣).
مليكة والدة السائب بن الأقرع أنها كانت تبيع العطر فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم ألك حاجة؟ قالت تدعو لأمي سودة بنت زمعه، وكانت من أحسنهن حالاً كانت تعمل الأديم الطائفي (٤).

اسماء بنت عميس، عملت اسماء بنت عميس، عملت أسماء بنت عميس نعيشاً (٥). لأول مرة لفاطمه بنت الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت قد رأته يصنع بأرض الحبشة وقيل أنها أمرت صناع بعمله بجراند رطبة فواربتها " (٦).

السيدة خديجة بنت خويلد كانت ذات شرف ومال كثير وتجارة تبعث إلى الشام فيكون غيرها كعامه قريش، وكانت تستأجر الرجال وتدفع المال واستأجرت الرسول لما عرفت من صدق حديثه وعظيم أمانته وكرم أخلاقه للخروج بتجارته

(١) ابن حجر، الإصابة، ص ٩٤.

(٢) ابن حجر، الإصابة، ص ١٤٨.

(٣) ابن حجر، الإصابة، ص ٢٩١.

(٤) الأديم الطائفي، الأديم الجلد وقيل لأحمد وخيل هو المدبوغ، ابن منظور، لسان العرب، ج ١، ص ٧٢.

(٥) نعيشاً، سرير الميت سمي بذلك لارتفاعه، ابن منظور، لسان العرب، ج ١٤، ص ٢٩٨.

(٦) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٦٢.

مع غلامها ميسرة وقالت " أنا أعطيك ضعف ما أعطى قومك وفعل رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج إلى سوق بصرى^(١) بالشام فباع سلعته التي أخرج وأشتري غيرها وقدم لها فريحت ضعف ما كانت تريح^(٢).

ونلاحظ من مهنة المرأة في التجارة أنها كانت مصدر يمثل دخلاً للمرأة وإن هذا المال كان ذو نفع لها ولأسرتها وللمسلمين ولا أدل على ذلك من أن مال السيدة خديجة كان نفعاً للإسلام والمسلمين. وأن ريطه كان مالها مصدر رزق لها ولزوجها حتى عدلها صدقة أيضاً كانت بعض تجارة المرأة في العطور أو صناعات مثل المنسوجات كالفرش من وسائد وبسط أو صناعات لبعض موالين كصناعة النعش والمنابر.

ويتبين أيضاً أن تجارة المرأة كان عبارة أحياناً عن بضائع تقدم لها من خارج مكة والمدينة كاليمن والشام والحبشة والمغرب وربما يقمن بشراء كمية من التجارة وبيعها، لأن أم أنمار كان أبناها يقدم بعطور من اليمن فتبيعها.

(١) بصرى الشام، وهي من أعمال دمشق وهي قصة كورة حران مشهورة عند العرب قديماً وحديثاً

فتحها خالد بن الوليد في سنة ١٣هـ، الحموي، معجم البلدان، ج ١، ص ٤٤١.

(٢) ابن سعد، الطبقات، ج ٨، ص ٢٦٢.

الخاتمة

وفي الختام نحمد الله العلي القدير الذي وفقنا لإنهاء هذا البحث والذي تناول موضوعه " دور المرأة في خدمة المجتمع من العصر الجاهلي حتى العصر الراشدي " دراسة تحليلية مقارنة، وقد خلصت الدراسة إلى التالي:

(١) أن أبرز أعمال المرأة في العصر الجاهلي هي وظيفتها الرئيسية كأم ومربية لأبنائها وراعية لبيت زوجها وأنها أعدت لأجل ذلك من قبل أبويها.

(٢) أن المرأة في الجاهلية مارست العديد من الأعمال ومنها أعمالاً مناطة بالرجال.

(٣) نتيجة لطبيعة المجتمع الجاهلي مارست المرأة أعمالاً تتنافى مع طبيعة المجتمع الإسلامي.

(٤) لم يكن هناك أعمالاً ترفض المرأة القيام بها في العصر الجاهلي حتى تلك التي تتعارض مع القيم كان هناك نساء يعملن بها كأصحاب الريات.

(٥) انفردت المرأة في العصر الإسلامي بسابقة للمرأة العربية المسلمة ك معلمة وناشرة للعلم، حتى أصبح كبار رجال الإسلام علماء يجدون العلم لديها.

(٦) قل اهتمام المرأة المسلمة بالشعر، لانشغالها بأجل العلوم وهي العلوم الدينية.

(٧) مارست المرأة مهن كان لها دوراً كبيراً في مجال خدمة المجتمع كالقابات والمرضعات، والخاديات، والماشطات، ولم يكن هناك ما تأنف المرأة من ممارسته، إلا ما خالف أمر الله، لذلك ذكر الأبيهي مقولة تكتب بماء من ذهب " أما الكهانة فكانت فاشية في الجاهلية حتى جاء الإسلام فلم يسمع فيه بكاهن، وقد تعدد ذكر العديد من الكاهنات في الجاهلية بينما لم نجد في الإسلام من امتهن هذه المهنة.

(٨) كان للمرأة دور عظيم في صدر الإسلام في كثير من مجالات، العلم، الطب، العمل التطوعي، العمل الاجتماعي والتجاري ونصر الدين.

٩) اتضح مدى الوعي والإدراك والفهم لدى المرأة بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقها في سبيل تحقيق المجتمع الرسالة المناطه به وخاصة منذ انبثاق نور النبوة.

١٠) يتبين إن الدور الذي قدمته المرأة نابع من إيمانها بالثواب والأجر الذي سيكون لها في الآخرة لقوله تعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ وحق أن يكونوا ممن قال فيهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾.

قائمة المصادر والمراجع

المصادر العربية:

- ١- الأَبشيهي، بهاء الدين محمد بن أحمد، ٨٥٠هـ، المستطرف من كل فن مستظرف، ط١، (بيروت، دار الفكر العربي) ١٩٩٧م.
- ٢- ابن الأثير. عز الدين أبي الحسن علي بن حميد الجزري، ٦٢٠/٥٥٥هـ، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ط الأولى، (بيروت، دار ابن حزم) ١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م، ج٨، باب النساء فقط بقية الأجزاء المستخدمة، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٣- ابن الأثير أبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ٦٣٠هـ، الكامل في التاريخ، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
- ٤- ابن الجوزي: جمال الدين أبي الفرد، ٥٩٧هـ، صفة الصفوة، ت سامر أحمد الطاهر، ط١، (القاهرة: دار الفجر للتراث)، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
- ٥- الحلبي، نور الدين، السيرة الحلبية، دن، د. ت .
- ٦- الحموي، شهاب الدين أبي عبد الله، ياقوت بن عبد الله، معجم البلدان، (بيروت: دار صادر). د.ت.
- ٧- الحميدي، نشوان بن سعيد، ملوك حمير وأقيال اليمن، ط٢، (بيروت: دار العودة، ١٩٧٨م).
- ٨- الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، ٧٤٨هـ، سير أعلام النبلاء، (بيروت: دار الفكر) ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.
- ٩- الرازي، محمد بن أبي عبد القادر، المختار الصحاح، (بيروت: مكتبة لبنان) ١٩٩٩م.
- ١٠- الأزرقى: أبو الوليد، تاريخ مكة، ت هشام عبد العزيز عطاء وآخرون (مكة: المكتبة التجارية) ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

- ١١- ابن سعد: محمد بن منيع الزهري ٢٣٠هـ، الطبقات الكبرى، ط١، (بيروت: دار إحياء التراث العربي) ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.
- ١٢- الطبري، أبي جعفر محمد بن جرير ٣١٠هـ، تاريخ الأمم والملوك، ط١، (بيروت: دار الفكر) ١٤١٧هـ - ١٩٧٨م.
- ١٣- ابن عبد البر، أبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، ت علي محمد البجاوي، (مصر: نهضة مصر)، د.ت.
- ١٤- أبي عبد الرحمن خالد بن حسين بن حسين بن عبد الرحمن، جامع أخبار النساء من سير أعلام النبلاء، مع تراجم الجزء المفقود من السير، ط١، (الرياض، مكتبة الرشد) ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٥- ابن عساكر، علي بن الحسن بن هبة الله ابن عساكر، ٤٩٩-٥٧١هـ، أعلام النساء، ت محمد عبد الرحيم، ط١، (بيروت: دار الفكر)، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤م.
- ١٦- العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، ٧٧٣-٨٥٢هـ، الإصابة في تمييز الصحابة، ط١ ج٨، باب النساء فقط ، (بيروت: دار الكتب العلمية) ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م، بقيه الاجزاء ط١ بيروت: دار المعرفة ١٤٢٥-٢٠٠٤.
- ١٧- العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، ٧٧٣-٨٥٢هـ، تهذيب التهذيب، ط١، (بيروت: مؤسسة الرسالة) ١٤٢١-٢٠٠١م.
- ١٨- العسقلاني، أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر، ٧٧٣-٨٥٢هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ط١، (مصر: دار مصر لطباعة) ١٤٢١-٢٠٠١م.
- ١٩- الفسوي: أبي يوسف يعقوب بن سفيان ٢٧٨هـ، المعرفة والتاريخ، ط١، (المدينة: مكتبة الدار) ١٤١٠هـ

- ٢٠- ابن قتيبة، محمد بن عب الله بن مسلم الدينوري ٢٧٦-٨٩٨، الشعر والشعراء، ت أحمد ساعي، (القاهرة: دار القلم) ١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م.
- ٢١- ابن القيم - شمس الدين أبي عبد الله حمد بن أبي بكر، زاد المعاد في هدى خير العباد، ط٢٦، (بيروت: مؤسسة الرسالة)، ١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م.
- ٢٢- الكتاني عبد الحي بن شمس الحسن الادريسي، التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدينة النبوية، (بيروت: دار الكتاب العربي)، د. ت.
- ٢٣- ابن كثير، ابي الفداء اسماعيل الحافظ الدمشقي، البداية والنهاية ، ط٢، (بيروت: مكتبة المعارف) ١٤١١ هـ.
- ٢٤- ابن كثير، أبي الفداء اسماعيل الدمشقي، ٧٠٧-٧٧٤ هـ، تفسير ابن كثير، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي)، ١٤٢٥ هـ ٢٠٠٤ م.
- ٢٥- الكلبي، المنذر بن هشام بن حمد السائب، ٢٠٤ هـ، جمهرة أنساب العرب، (بيروت: عالم الكتب) ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٤ م.
- ٢٦- ابن منبه، وهب، رواية أبي حمد بن عبد الملك بن هشام، التيجان في ملوك حمير، ط١، (صنعاء: مركز الدراسات والأبحاث اليمنية) ١٣٤٧ هـ.
- ٢٧- ابن منظور: أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت ٧١١ هـ، لسان العرب، ط٤، (بيروت: دار صادر) ٢٠٠٥ م.
- ٢٨- الأندلسي: ابن سعيد ٦١٠-٦٨٥ هـ، نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب، ت نصرت عبد الرحمن، (الأردن: مكتبة الأقصى) . د. ت.
- المراجع العربية:**
- ٢٩- باعامر، محمد سالم بكر، مختصر رحلة في ظلال السيرة النبوية، ط٥، (الرياض، مكتبة الملك فهد الوطنية، ١٤٣٩ هـ - ٢٠١٧ م.
- ٣٠- أبو زيد شلبي، تاريخ الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي، ط٨، (القاهرة، مكتبة وهبه) ١٤١٨ هـ - ١٩٩٧ م.

٣١- حمادة حسين، تاريخ العلوم عند العرب، (بيروت، دار الكتاب اللبناني)،
١٩٨٧م.

٣٢- الطهطاوي، رفاة رافع، الدولة الإسلامية نظامها وعمالاتها متمم لكتابه
نهاية الإيجار في سيرة ساكن الحجاز، (القاهرة، مكتبة الآداب) ١٤١٠هـ

٣٣- الطيب، صفيه بنت عبد الرحيم، مرويات أمهات المؤمنين في شؤون
النساء، ط١، (الرياض، مؤسسة الجريسي) ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م، رسالة
ماجستير منشورة.

٣٤- المباركفوري، صفي الرحمن، الرحيق المختوم بحث في السيرة النبوية على
صاحبها أفضل الصلاة والسلام، ط٢٠، (مصر: دار الوفاء) ١٤٣٠هـ -
٢٠٠٩م .

٣٥- موسوعة الحديث الشريف لكتب السنة، (الرياض، دار السلام) ١٤١٦هـ

المواقع الإلكترونية:

- موقع المعجم الصغير.
- موقع موضوع.
- موقع نداء الإيمان.
- موقع معجم المصطلحات الشريعة.